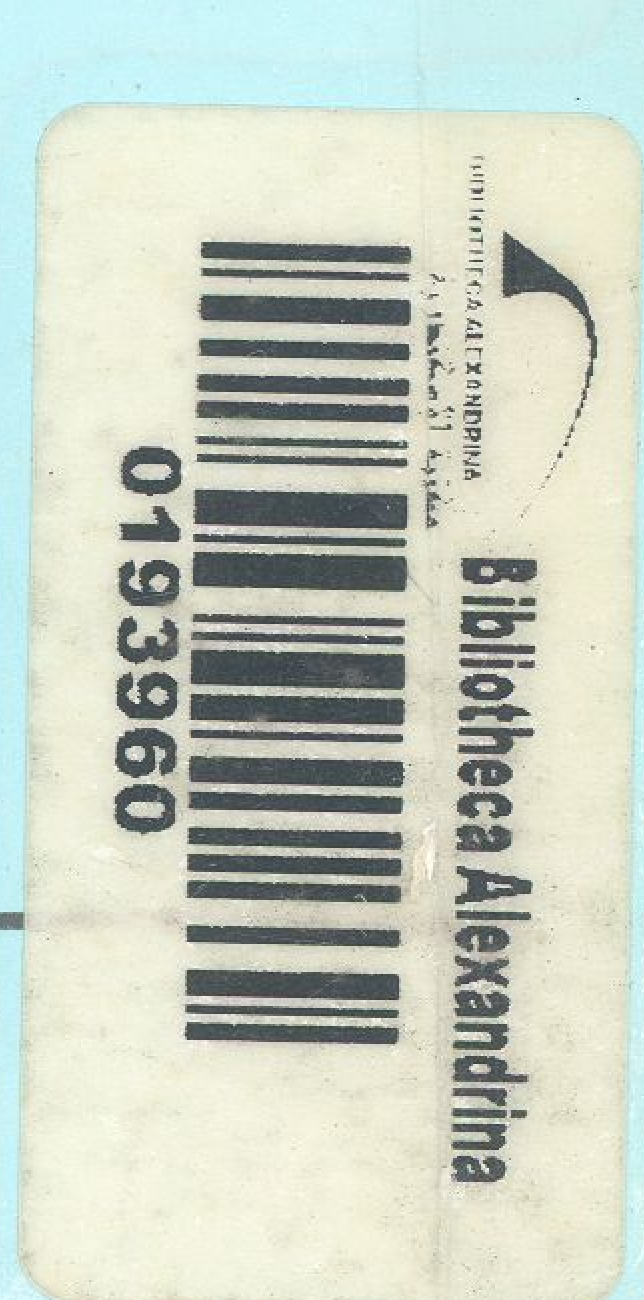


مركز الدراسات الشرقية
جامعة القاهرة

الشخصية الفلسطينية
فى القصة العبرية القصيرة

تأليف
د. محمود على صميده



سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية
العدد (٨) ٢٠٠٠

الشخصية الفلسطينية
فى القصة العبرية القصيرة

تأليف

د . محمود على صميده

سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية
يصدرها مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة
تحت إشراف : أ.د / محمد خليفة حسن

تصدر هذه السلسلة تحت رعاية

أ.د نجيب الهلالى جوهر

رئيس جامعة القاهرة

ورئيس مجلس إدارة المركز

و

أ.د أمير إمام ناصف

نائب رئيس الجامعة

ونائب رئيس مجلس إدارة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

القارىء الكريم

يسر مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة أن يقدم هذه الدراسة عن صورة الشخصية العربية الفلسطينية فى الأدب العبرى الحديث . وهو أدب صهيونى موجه لخدمة الأيديولوجية الصهيونية ولذلك فقد عمد هذا الأدب إلى تزييف الصورة العربية عموماً والصورة الفلسطينية على وجه التحديد من أجل تحقيق هدف نهائى ، وهو طمس الهوية العربية الفلسطينية ، وتهويد فلسطين وتبرير الأعمال الإرهابية ضد سكانها العرب واثبات دعوى أن فلسطين أرض بلا شعب كما ادعت الصهيونية .

وقد ركز الأدب العبرى الذى تم إنتاجه فى مجال القصة القصيرة على نموذج العربى الفلسطينى البدوى ونموذج الفلاح مع حذف كل الصفات والقيم العربية الأصيلة فى هذين النموذجين وإلصاق كل الصفات السلبية العدوانية والإرهاب والجبن والوحشية والإجرام والتملق والعذر وغير ذلك أما من الناحية الشكلية فالعربى الفلسطينى مخلوق غريب، وكل مواصفاته المادية مواصفات سلبية .

وهذا الوصف المعنوى والمادى للإنسان العربى الفلسطينى لايعكس تجربة أدبية صادقة ناتجة عن الاحتكاك المباشر بالفلسطينيين ولكنه يلبى مطالب الأيديولوجية الصهيونية ودعواها المرتبطة بالأرض وسكانها الأصليين ، وتبرر العدوان الصهيونى وسياسة العنف والإرهاب تجاه الفلسطينيين . وقد حرص الأدباء الإسرائيليون على اختيار أكثر النماذج تخلفاً واعتبارها النموذج الممثل للشخصية الفلسطينية كما اعتبروا القيم الدينية عند العرب الفلسطينيين وليدة العجز العربى الفلسطينى تجاه المواقف المختلفة .

ونحن فى النهاية أمام صورة زائفة غير حقيقية للإنسان العربى الفلسطينى تم التعبير عنها من خلال القصة القصيرة العبرية منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧م

والدراسة التى نقدمها اليوم للمرحوم الدكتور / محمود صميده (الاستاذ المساعد للأدب العبرى بسوهاج) تفند هذه الصورة الزائفة ، وترد على الافتراءات الواردة فى القصة القصيرة عن الشخصية الفلسطينية ، وتوضح الصورة الصحيحة التى حاول هذا الأدب أن يطمسها كجزء من استراتيجية الأدب الصهيونى الموجه أصلاً لخدمة الأيديولوجية الصهيونية .

وفى النهاية نرجو أن يكون هذا العمل قد حقق هدفه ، وندعو الله للمرحوم الدكتور صميده بالرحمة والمغفرة ، وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناته .

أ.د. محمد خليفه حسن
مدير مركز الدراسات الشرقية
جامعة القاهرة

صورة الشخصية العربية الفلسطينية
فى الأدب العبرى الحديث

نظرا لأن الشخصية العربية الفلسطينية كانت عنصر التحدى الرئيسى الذى احتكت به السلطات الإسرائيلية فى واقعها الاستعمارى بفلسطين ، فقد عمد اليهود إلى نزع هوية هذه الشخصية حتى يمهدوا لفكرتهم التى روجها الروائى الصهيونى إسرائيل زينجويل "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".

ولذلك وظفت الامبريالية الصهيونية الأدب الإسرائيلى لخدمة هدفها الأساسى وهو إبادة الشعب الفلسطينى ، حتى يقوم الأدباء بوصف العرب الفلسطينيين بأحط الصفات وأقذرها ، وبأنهم وباء لايصدر عنهم إلا كل أذى وضرر حتى يهيئوا الإسرائيليين نفسياً لإبادة هذا الشعب .

ومن هذا المنطلق حرص الأدباء الإسرائيليون رغم اختلاف نشأتهم على تشوية صورة العربى الفلسطينى وتحقيرها وإظهارها فى صورة بشعة كوسيلة لتبرير ما يقوم به الإسرائيلييون من أعمال إرهابية ضد العرب وحتى يبرروا لانفسهم مطاردته ومعاملته بقسوة وعنف وطرده من أرضه وكذلك حتى يظهروا تفوق الشخصية اليهودية على الشخصية العربية . وهذا يتضح من خلال هذه الدراسة التى خلصنا منها إلى ما يلى :

١ــ إن صورة العربى الفلسطينى فى الفكر الصهيونى والأدب العبرى النثرى فى بداية هذا القرن ، وفى المفهوم الإسرائيلى بعد ١٩٤٨ تتطابق تماماً مع الصورة التى رسمها أدباء القصة القصيرة (١٩٤٨ــ ١٩٦٧) لهذه الشخصية والتى تحددت فى نموذجى البدوى والفلاح مع تجاهل جوانب الأصالة فى هاتين الشخصيتين . وهذه الصورة هى صورة شخصية البدوى التى الصقوا بها صفات سلبية عديدة رغم ما تملكه هذه الشخصية من تراث غنى بالعادات والتقاليد الأصيلة التى تتميز بها بين بقية النماذج البشرية .

وبعد تنفيذ وعد بلفور وإقامة الدولة اليهودية وصف الفلسطينى

المقاتل من أجل حقوقه المشروعة بأنه إرهابى ، وجبان ، ومتوحش ، ويثير الرعب وأنه لايقوم بعملياته العدوانية إلا فى الليل أما فى النهار فإنه يرتدى لباس المسكنه والضعة ، كما أنه محتقر ومهان بحيث لايمكن لأحد أن يأخذه مأخذ الجد، ولديه تراث عريق من شهادة الزور، وتراث أعرق من القتل والاجرام صار طبيعة ثابتة فيه ، وأسلوب شيطانى من التملق والغدر هذا بالاضافة إلى أنه متوحش يعيش مثل الحيوانات ولا يفهم ما يدور من حوله . إنه مجرد مخلوق غريب يرتدى جلباباً ممزقاً وغطاءً قذراً للرأس ، وتلتف زوجته بثوب أبيض ، ويسير أطفاله حفاة وليس من مجال الخطأ تحديد هويته فكل شيء يتعلق به مادياً كان أو معنوياً ينطق بصفاته . فهو ليس قذراً فحسب بل هو أيضاً لص ، وكذوب وكسول ، وعدواني.

٢ــ اتجه عدد من الأدباء إلى وصف العرب بصفات دميمة على ألسنة العرب أنفسهم حتى يؤكدوا شيوع هذه الصفات بين العرب وحتى يظهروا عدم احترام العرب لأنفسهم واحتقارهم لذاتهم .

٣ــ إن تناول الشخصية العربية الفلسطينية بالوصف من جانب الأدباء الاسرائيليين لايعكس تجربة أدبية صادقة ناتجة عن الاحتكاك المباشر بعرب فلسطين وإنما ينعكس استجابة من الأدباء الاسرائيليين لمعطيات التصور الاسرائيلي للشخصية العربية ، ومحاولة ترسيخ هذا التصور عن طريق اللجوء إلى اختيار أكثر النماذج فى المجتمع العربى تخلفا وعرضها على القارىء الاسرائيلي على اعتبار أنها النموذج الممثل للشخصية العربية الفلسطينية .

٤ــ أشار عدد من الأدباء اليهود ــ خلال الفترة موضوع الدراسة ــ إلى القيم الدينية عند العرب الفلسطينيين وكانت إشاراتهم فيما يتصل بمجال العبادة مقصورة على وصف المظاهر الخارجية فقط وحاولوا إرجاع روح التدين عند العرب إلى عجزهم أمام المواقف المختلفة وعدم قدرتهم على اتخاذ القرار .

الفلسطينية وربما يرجع ذلك إلى أنهم يرون فيها جنتهم الموعودة ويكون وصفهم بمثابة الدعاية ليهود الشتات حتى ينجذبوا إلى أرض فلسطين . ولقد إصطدم هؤلاء الأدباء أثناء تطرقهم لوصف الطبيعة بالواقع الحي ـ سواء بوعى أو بغير وعى ـ الذى لايمكن لأحد إنكاره وهو أن الفلاح الفلسطينى كان مرتبطاً بأرضه ، وكان حريصاً على زراعتها، وعلى أن يجعلها جنة خضراء .

٦ـ أشار الأدباء الإسرائيليون إلى الأعمال التى يقوم بها العرب وكانت إشاراتهم منصبة على نمطىّ الشخصية اللذين حظيا بالوصف وهما البدوى والفلاح ، وحتى إذا تخطت الإشارات حدود هذين النمطين فإنها لاتخرج عن الإطار العام لهما . فإذا كانت الإشارة إلى عربى يعمل فى مجال التجارة نجده يعمل فى تجارة الغلال الزراعية التى ينتجها الفلاح من الأرض أو أعمال القطف والانتقاء والتعبئة التى ترتبط بالزراعة ، وإذا كانت الإشارة إلى عربى يعمل عملاً يدوياً نجده لايقوم إلا بما يسمونه بالأعمال الحقيرة المضنية.

ولقد حرص الأدباء الإسرائيليون على أن ينسبوا للعربى الفلسطينى الأعمال البسيطة حتى يعطوا انطباعاً بأنه لايصلح للقيام بأعمال تتعلق بالفكر ، ولابصنع السياسة ، ولا بالأعمال الثقافية بصفة عامة ، فلا نكاد نلمح فى إشاراتهم مدرسين ، ولا مفكرين ، وموظفين فى المراكز العليا من الإدارة ينتمون إلى صفوف العرب الفلسطينيين .

٧ـ سلكت السلطات الإسرائيلية أساليب البطش والإرهاب فى أعقاب اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية للسيطرة على أراضى فلسطين مستفيدة من الهزيمة العربية ومن حالة الذعر والذهول التى استحوذت على المواطنين آنذاك ، وثبت ذلك من خلال النماذج الأدبية حيث تشير صور هذه الأساليب إلى أن معاملة اليهود لعرب فلسطين تتسم بالقسوة والعنف والاستهانة والاستهزاء بآدميتهم ، كما أن اليهود يشعرون باللامبالاه تجاه

لعرب ، ويقومون بممارسة أعمال التفتيش فى بيوتهم وممتلكاتهم رغم أنهم يعرفون أن هؤلاء العرب عزل من السلاح وذلك بهدف بث الذعر والرعب فى نفوسهم وهذه المعاملة لاتعبر عن تصرفات أشخاص بذاتهم فحسب ولكنها تعبر أيضاً عن إرادة السلطة الإسرائيلية التى تمثل موقفاً عدائياً متطرفاً تجاه هؤلاء العرب .

كما صور الأدباء الإسرائيليون عرب فلسطين على أنهم يعيشون فى حالة من الرعب الدائم والفزع الرهيب لأنهم معرضون فى أى وقت للضرب والطرد والقتل والإبادة ، كما أن ممتلكاتهم معرضة للسلب والنهب والحرق والنسف بالإضافة إلى أنهم عاشوا فى ظل قوانين الحكم العسكرى غرباء فى أرضهم ، محرومين من كافة حقوقهم يفتقرون إلى رعاية السلطات الإسرائيلية .

إن النماذج الأدبية التى تم تناولها بالدراسة والتحليل خلال هذا الكتاب كتبت بعد ١٩٤٨ ، بعد أن استطاعت إسرائيل أن تفرض وجودها فى فلسطين ، وأصبحت هناك قضية أساسية وهى قضية الشعب الفلسطينى الذى طرد قهراً وقسراً من أرضه ، وهذه الحقيقة لم تكن غائبة عن الأدباء ، ورغم ذلك فإنه من الملاحظ أن هذه النماذج لايوجد فيها أى تصور للعلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين ، وإذا كانت تعكس شيئاً فى الواقع فإنها تعكس الرغبة الشديدة فى تجاهل وجود الشعب الفلسطينى من ناحية ، وتجاهل أن لهذا الشعب حقوقاً مشروعة مغتصبة من ناحية أخرى . إذ أن التطرق لمعالجة الشخصية العربية يتم دائماً على أساس أنها شخصية هامشية فى الحياة اليهودية على أرض فلسطين ، وأنها أدنى بكثير من الشخصية الإسرائيلية ، فهى من وجهة نظرهم مجرد مخلوق يجب التخلص منه بشكل أو بآخر . وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد بين ثنايا بعض أعمال هؤلاء الأدباء إشارات واضحة إلى الحق الفلسطينى فى الأرض، وإلى تمسك الفلسطينى بهذا الحق والاستماتة فى سبيله ، وسواء بوعى أو بلا وعى فإن بعض الأعمال الأدبية أشارت إلى أن هذا سيؤدى إلى خلق نموذج عربى فلسطينى جديد سيمثل طرحاً جديداً للشخصية

العربية الفلسطينية ، وهذه الشخصية النبوءة لـــــن تكـون مستسـلمة للارهاب ولن تنحنى أمام سطوة القهر الإسرائيلية بل ستكون مشحونة بعبء الأجيال السابقة وتحمل بين جنباتها صرخــة الثــأر لاســتعادة الوطن السليب ، تلك الصرخة التى لن تكون صرخة حيوان مطـــارد خائف بل زئير نمره لايزيدها الألم إلا عناداً واصراراً .

د. محمود صميدة

الباب الأول

القصة الإسرائيلية القصيرة ونماذج الأدباء الذين تناولوا الشخصية العربية الفلسطينية (١٩٤٨ ــ ١٩٦٧)

الفصل الأول
القصة الإسرائيلية القصيرة
فى الأدب العبرى الحديث

الأدب العبرى الحديث :

نظراً لأن الأدب العبرى خلال حركة الهسكالاه[1]ـ فـــى نهايـــة القرن الثامن عشر ـ كان مرتبطاً ومعبراً عن أهدافها فإنه يعتبر نقطة البداية بالنسبة للأدب العبرى الحديث الذى تميز بأنـــه أدب علمـــانى حول الاتجاه الأدبى العبرى من الاتجاه الدينى إلى الاتجـــاه العلمـــانى وتأثر إلى حد كبير بالآداب الأوربية فى ذلك العصر[2]، وذلك طبقـــاً لما كانت تهدف اليه الهسكالاه من ضرورة الانفتاح على علوم الغرب، فنجد أدباء اليهود فى هذه الفترة ـــ وهم رائدو الحركة الفكرية الذيـــن أخذوا على عاتقهم مهمة تحرير اليهود اجتماعياً ودينيـــاً وفكريـــاً ـــ يحاكون أسلوب كتاب الغرب وكانت مادة كتاباتهم مستقاة من الكتـــاب المقدس وكذلك من الآداب الأوربية الحديثة . وقد ظـــهرت كتابـــات نثرية كثيرة تضمنت مقالات فى مختلف العلوم وكتابات فـــى النحـــو والمبادىء الدينية الأخلاقية وتعليقات على الكتاب المقدس وروايـــات وقصص[3].

أما أدب الحركة القومية (١٨٨١ ـــ ١٩١٧) فقد تمـــيز بأنـــه أدب علمانى على الرغم من وجود العنصر الدينى فيـــه أحيانـــاً كبـــاعث تاريخى على الروح القومية . وفى هذه الفترة رأى الأدباء ضـــرورة رفع مستوى الأدب اليهودى إلى مستوى الآداب الأوربية الحديثـــة ، ولذلك تشبعوا بروح تلك الآداب وتأثروا بالتيارات الفكرية السائدة فبدأ الأدب يعبر عن واقع اليهود خارج الجيتو بعد أن تغيرت مفاهيمـــهم ، كما دعا إلى إثارة الحماس تجاه إقامة وطن قومى لليهود وإحياء اللغـــة العبرية كلغة قومية .

ولم يتجه أدباء هذا العصر إلى نقد الشخصية اليهوديـــة وإبـــراز عيوبها كما فعل أدباء الهسكالاه بل اهتموا بإبراز نواحى الجمال فيها ، فبدأ الشعراء والكتاب يدرسونها ليستخلصوا مميزاتها ونواحى المثاليـــة

فيها . كذلك صور أدباء القومية شخصية الحسيد والصدّيق على أنها مثالية وذلك على عكس الصورة السيئة التى رسمها أدباء الهسكالاه لهاتين الشخصيتين .

وقد أدى كل ذلك إلى خلق تيار جديد فى أدب ذلك العصر وهو الأدب الخيالى(٤)كما ظهر فى ذلك العصر الأدب الشعبى حيث وجه الأدباء اهتمامهم إلى دراسة وتحليل ظروف الفرد اليهودى العادى الذى أهمل فى أدب الهسكالاه ، و اهتموا بتجسيد التراث اليهودى القديم ، وقد تجلى فى ذلك العصر الإنتاج الشعرى فى قدرته على الخلق والإبداع ، فتناول الطبيعة والإنسان ومحاولة إظهاره على أنه شخصية سمحة إنسانية غير متعصبة ، ويمثل هذا العصر حاييم نحمان بياليك (١٨٧٣ ــ ١٩٣٤) ، وشموئيل يوسف عجنون (١٨٨٨ــ ١٩٧٠) .

وبصفة عامة، فإن التحول التاريخى فى الموضوع الرئيسى للأدب العبرى من وصف اليهود خارج فلسطين الى الدعوة الى استيطانهم فيها ، ثم وصف الواقع الإسرائيلى يبرز ملامح خاصة بالأدب العبرى الحديث حيث نجد كتاباً ينتمى عملهم الأدبى إلى أجيال مختلفة سواء بالنسبة للموضوعات أو الأسلوب(٥).

وعلى هذا الأساس فانه يمكن تقسيم مراحل هذا الأدب الى خمسة أجيال مختلفة استناداً إلى التقسيم الذى أشار اليه جرشون شاكيد حيث يوجد تقارب كبير جداً بين المجموعات الخاصة بالأجيال المختلفة أكثر من التقارب الموجود بين المجموعات التى ظهرت فى جيل واحد وذلك على النحو التالى :

أ ــ الجيل الأول :

بدأت الانتاجات الأدبية لهذا الجيل فى الثمانينيات، واستمرت حتى عشرينيات هذا القرن . ومعظم كتاب هذا الجيل عاشوا وماتوا فى المهجر وكتبوا باليدش والعبرية ، واستمدوا وحيهم من عواصف النقب(١٨٨١)، ومن الاضطرابات التى حدثت فى روسيا ، والهجرات البشرية التى حدثت فى بداية هذا القرن إلى الولايات المتحدة الامريكية وبقية بلاد العالم ومن بينها فلسطين ، ويمثل هذا الجيل :

مندلى موخير سفاريم (١٨٣٥ ــ ١٩١٧) ودافيد فريشمان (١٨٥٩ ــ ١٩٢٢) ، وميخا يوسف برديشفيسكى (١٨٦٥ ــ ١٩٢٢) .
وفى نفس الوقت ظهر فى فلسطين أدب رجال الهجرة الأولى والمستوطنين القدامى ، ولا يوجد فرق كبير بين هذا الأدب وأدب المجموعة التى ظهرت فى "المنفى" فاذا كان هؤلاء قد حاولوا كشف الوضع فى فلسطين ، ومن أبرز الكتاب الذين ظهروا حينئذ فى فلسطين زئيف يعبتس (١٨٤٨ ــ ١٩٢٤) .

ب ــ الجيل الثانى :

بدأ هذا الجيل فى الظهور فى نهاية القرن التاسع عشر ومصير هذا الجيل يختلف تاريخياً عن الجيل الأول ، وظهرت معظم إنتاجاته وأفضلها خارج فلسطين التى هاجر إليها معظم أبناء هذا الجيل . وكان كتاب هذا الجيل بناة الأدب فى التجمعات اليهودية مثل أوديسا ، ووارسو ، وهم الذين أخذوا على عاتقهم إقامة مركز للأدب العبرى فى فلسطين . ويمثل هذا الجيل حاييم نحمان بياليك (١٨٣٧ ــ ١٩٣٤) ، ويوسف حاييم بيريز (١٨٨١ ــ ١٩٢١) ، واسحق دوف بكوفيتس (١٨٨٥ ــ ١٩٦٧) ، وجرشون شوفمان (١٨٨٠ ــ ١٩٧٢) ، وأورى نيسان جنسين (١٨٧٩ ــ ١٩١٣) . لقد كان هناك تقارب عاطفى كبير بين كتاب هذا الجيل ، وسمات واضحة على انتاجاتهم تميز عصرهم وهى التشرد ، والهجرة ، والانعزالية ، وقد استمدوا وحيهم من الاضطرابات التى حدثت فى بداية هذا القرن ، والهجرة الفلسطينية وبداية الاستيطان فى فلسطين .

ج ــ الجيل الثالث :

وهو قريب جداً من الناحية البيوجرافية والتاريخية للجيل السابق ويسمى أدب هذا الجيل بأدب "الديسابورا" . وبدأ كتاب هذا الجيل نشاطهم فى فلسطين ، وكانوا قد هاجروا اليها فى بداية القرن العشرين، وهم مرتبطون بالهجرة الثانية ومعظمهم أدباء مهاجرون يصفون المواجهة بين المهاجر وواقعه الجديد ، أو بين "اليشوف" القديم والحديث ومن أبرز كتاب هذا الجيل : شموئيل يوسف عجنون (١٨٨٨ ــ ١٩٧٠) ، ودافيد قمحى .

وبصفة عامة فإن أدب هؤلاء الكتاب قد اصطبغ باللون اليـهودى ، وهم يعتبرون من أبرز المتحدثين عن الماضى كما يعتـبرون بحـق خالقي المدرسة الحديثة للأدب ، وقد استمدوا وحيـهم مـن الواقـع اليهودى الجديد فى فلسطين .

د ـ الجيل الرابع :

ظهر هذا الجيل فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ومعظم أدبائـه هاجروا إلى فلسطين مع موجات الهجرة الثالثة والرابعة ، وتميز أدب هذا الجيل باندماج عنصرى الأيديولوجية والتعبير الأدبى ، ويمثل هذا الجيل مائير يعارى ، وحاييم هزاز (١٨٩٨ ـ ١٩٧٣) وتمتد الفـترة الرئيسية لهذا الجيل خلال الحربين العـالميتين ومرحلـة الاسـتيطان اليهودى فى فلسطين .

هـ ـ الجيل الخامس :

معظم أبناء هذا الجيل من أبناء فلسطين ، وقد ظهر الشباب منـهم فى نهاية الثلاثينيات ، بينما ظهر الأصغر منهم فـى الخمسـينيات . وهذا الجيل يختلف عن الأجيال السابقة من حيث ميله إلى نقد التقـاليد اليهودية وأحياناً الحركة الصهيونية . و"المنهج" بالنسبة لأدبـاء هـذا الجيل لم يعد أكثر من مجرد حقيقة تاريخية لاتؤثـر علـى فكرهـم الأدبى، وبالتالى لم تعد فلسطين بالنسبة لهم بلد الهجرة . ومع ذلك فقد شبوا على حركة الإحياء القومى . وعبروا عن صلتهم المباشرة بها . والموضوع الرئيسى لهذا الجيل هو تدبير المراكز اليهودية فى أوربا ، وحرب ١٩٤٨، وإقامة الدولة ، وتجربة بناء الشخصية اليهودية مـن جديد وما يعتريها من صراع نفسى داخلى وما تواجهه مـن عوامـل خارجية[٦]. وقد التزم هذا الجيل فى صياغة انتاجاته الأدبية بالبعد عن إبراز أى نوع من التناقض بين الأيديولوجية الصهيونية وتجربة الفـرد فى واقع الحياه وتميز كذلك بالسعى نحو خلق المبررات لكل القضايـا التى واجهت الصهيونية سواء كان ذلك تبرير عدم الاندماج اليـهودى فى مجتمعات الشتات اليهودى ، أو تبرير اغتصـاب فلسـطين مـن العرب ومحاربة الانتداب البريطانى . وينتمى الى هذا الجيل يزهـار سيملانسكى وبنيامين تموز ، وموشيه شامير وأهارون ميجد ، ودافيـد شحر، وعاموس عـوز .

القصة القصيرة فى الأدب العبرى الحديث

تعريف :

القصة القصيرة من أكثر الأشكال الأدبية لفتاً للانتباه ، لأن ثرائها الكيفى وتنوعها الكمى يمنحانها مكانة متميزة إلى الدرجة التى تبدو معها وكأنها أكثر الأشكال الأدبية جذباً لاهتمام المبدعين وإثارة لاهتمام المثقفين . وأخذت تزاحم الشعر منذ عهد غير قريب ، تقتطع من جمهوره التقليدى العريض فى الصحيفة والمجلة وتستأثر دونه باهتمام الكتاب ، وتحقق وثبات متنوعه بارزة فى مستويات الرؤية .

وترجع هذه المكانة المتميزة إلى ما تنطوى عليه القصة القصيرة من تكثيف وتركيز يصلانها بالشعر ولكنها تتميز عنه بما يضيفه التركيز والتكثيف على عناصر القص المتميزة بما فيها من أماكن وأزمنه وأحداث وشخصيات ، وما تنطوى عليه هذه العناصر من أبعاد درامية تقترن بالتوتر[٧]كما ترجع هذه المكانة إلى أنها إيقاع سريع لتحولات العصر ، وأنها أصلح الأشكال الأدبية للتجسيد ومن ثم التوصيل . وقد حملت فى تطورها الفنى سمة واضحة تتمثل فى تخطى الشكل التعبيرى القائم مع الإفادة الهائلة من حركة تطور الفنون التشكيلية والتعبيرية الأخرى[٨].

وتوصف القصة القصيرة فى مجال الانتاج الشعرى على أنها نوع ملحمى ، واذا كان الشعر يعبر أساساً عن طموح الشاعر وحيله فإن القصة القصيرة تعبر عن واقع حياته ولذلك فان الذى يفرق القصة عن الملحمة الشعرية ليس موضوع التكنيك الفنى ولكن الفرق يكمن فى المادة الملحمية أكثر من الصورة الملحمية ذاتها[٩].

والقصة القصيرة عبارة عن انتاج أدبى ذى حجم صغير وأحياناً يكون صغيراً جداً أى أنها أصغر من الرواية القصيرة ومن الرواية ، وبسبب هذا الصغر فانه يبرز فيها أحد العناصر الرئيسية الموجودة فيها مثل الصورة ، والحبكة ، والخلفية وذلك من خلال ضغط بقية العناصر ، وأحياناً يحدث توازن بين هذه العناصر بحيث تظهر جميعها فى صور موجزة إلى أقصى حد[١٠].

ويحدث أن تصور القصة القصيرة فترة زمنية صغيرة تكون جوهرية فى حياة البطل أو فى حياة الأبطال ، كما يحدث أن تغطى فترة زمنية طويلة جداً منْ خلال الحوار الواضح ولكن تظهر فيها فقط ساعات الذروة كثيرة التوتر وبينها توجد فترات ميتة " تبدو.من وجهة نظر الكاتب غير ذوات أهمية[١١].

ولذلك فان القصة القصيرة لعبت دوراً هاماً فى الأدب العبرى الحديث حيث وسعت دائرة قارئى اللغة العبرية وكشفت عن المشاكل الحقيقية للمجتمع اليهودى خارج وداخل إسرائيل[١٢].

القصة القصيرة فى عهد الهسكالاه :

ظهرت البراعم الأولى للقصة العبرية القصيرة فى بداية القرن التاسع عشر وذلك مع انتقال مركز الهسكالاه إلى جاليسيا وروسيا (١٨٢٣ ــ ١٨٥٠) ومن أبرز كتابها يوسف بريل وإسحق أرثر وأيزيك مائير وكانت تتميز بما يلى :

١ــ كانت القصص فى صورة رسائل أقرب إلى الرواية منها إلى القصة القصيرة

٢ ــ كانت أساليب الكتابة مشابهة لأساليب العهد القديم .

٣ ــ تناولت القصص وصفاً لحياة الصالحين ورجال الدين.

٤ ــ تناولت بعض سير الحياة الشخصية .

٥ ــ تناولت نقد أساليب التعليم القديمة .

٦ ــ تناولت وصف للمدينة اليهودية فى المهجر .

أما الفترة التى تلت ذلك من عصر الهسكالاه (١٨٥٠ ــ ١٨٦٠) والتى تعتبر فترة الانتاج القصصى العبرى الأساسية فتبدأ بظهور افراهام مابو (١٨٠٨ ــ ١٨٦٨) أول من كتب الرواية الأصيلة فى الأدب العبرى الحديث[١٣]، وظهرت فيها القصة القصيرة متميزة بما يلى :

١ــ قوة التخيل إزاء إقامة عالم جديد ذى طابع قومى .

٢ ــ تناول الموضوعات ذات الطابع الملحمى .

٣ ــ استعراض الأحداث التاريخية فى صور رمزية .

٤ ــ وصف حياة اليهود فى المهجر .

٥ ــ الواقعية .
٦ ــ وصف أساليب الحياة اليهودية القديمة بكل ألوانها .

ومن أبرز كتاب هذه الفترة : يـــهوداليف جـــوردون ، وبـــيرتس سمولينسكن ، وراوبن أشربرودس .

أما الفترة الأخيرة من عصر الهسكالاه (١٨٦٠ ــ ١٨٧٠) والتـــى تميزت بالواقعية والرومانسية والتى تبدأ بمندلـــــى موخـــير ســـفاريم (١٨٣٥ ــ ١٩١٧) فقد تميزت القصة القصيرة خلالها بما يلى :

١ ــ الواقعية والرومانسية .
٢ ــ كانت الإنتاجات قومية من الدرجة الأولى .
٣ ــ وصف الواقع اليهودى فى أوكرانيا وليتوانيا .
٤ ــ التركيز على وصف الجو الذى يعيش فيـــه اليـــهودى فـــى المهجر اكثر من وصف اليهودى نفسه .
٥ ــ وصف الطبيعة .
٦ ــ التأثر بالكتابات الأوربية والروسية .
٧ ــ وصف الأبطال اليهود التاريخيين فى شكل ملحمى .
٨ ــ تناول حياة اليشوف .
٩ ــ ظهور بعض القصص عن صـــهيون والخـــراب او الســـبى وصور من اضطهاد اليهود[١٤].

وأثناء مرحلة الانتقال من عصر الهسكالاه الى عصـــــر الإحيـــاء القومى (١٨٧٠ ــ ١٨٨١) تميزت القصة القصيرة بما يلى :

١ ــ كانت تأخذ طابع الأسطورة .
٢ ــ كانت المدينة اليهودية هى وحى أفكار الكتاب .
٣ ــ ركز الكتاب على وصف الحاضر .
٤ ــ وصف مراكزالهسكالاه والأجواء المحيطة بها .
٥ ــ المزج بين الموضوعية الشديدة والذاتية الطبيعية .
٦ ــ نقد الماضى والتعبير عن الرغبة فى التجديد .
٧ ــ ظهور قصص الحنين والشوق لفلسطين والقصص العاطفية
٨ ــ وصف الواقع الحسيدى .
٩ ــ وصف حالة اليهود أثناء الثورة الروسية .

وبرز من كتاب هذه الفترة : مردخاى زئيف فايربرج وشموئيل بن تسيون .

القصة القصيرة فى عصر الاحياء القومي اليهودى (١٨٨٠ ـ ١٩١٧) :

كانت الفترة التى سبقت قيام الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة الروسية بعدها هى نقطة الانطلاق بالنسبة للقصة القصيرة حيث كانت القصص خليطا من وصف المهجر وفلسطين ، وسار معظم كتاب القصة القصيرة من ناحية الأسلوب والصورة الفنية فى ذلك العصر على النهج الذى كان موجوداً من قبل . ومن هؤلاء الكتاب يوسف حاييم بريز ، وجرشون شوفمان ، واورى نيسان جنسين ، وحاييم هزاز. وتميزت القصة خلال هذه الفترة بما يلى :

١ ـ التغلغل فى أعماق النفسية اليهودية عند الفرد العادى .
٢ ـ تصوير حياة ومشاكل الانسان اليهودى .
٣ ـ دراسة حياة الشخصية اليهودية وتحديد ملامحها .
٤ ـ التخلص من الاتجاه التعليمى والتهذيبى والجدلى
٥ ـ لم يكن الأبطال مجرد نماذج كما فى عصر الهسكالاه، بل شخصيات تمثل الفرد العادى .
٦ ـ احتوت احتجاجاً على الأنظمة المختلفة فى الحياة اليهودية.
٧ ـ كانت تهدف إلي تغيير واقع الحياة اليهودية تغييراً شاملاً وإعادة بنائها على أسس سليمة(١٥).

القصة القصيرة فى الفترة الفلسطينية (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) :

على الرغم من أن الخط الفاصل بين ما يسمى "بالمنفى" وفلسطين كموضوع للأدب العبرى ليس واضحاً تماماً ومن السهل المرور عليه بسرعة فإنه يمكن القول بأن القصة القصيرة كانت تتميز خلال هذه الفترة بما يلى :

١ ـ الكتابة عن "المنفى" ولكن "المنفى" كان مجرد جزء من صوره كاملة مركزة .. على الكفاح من أجل احياء ثقافة علمانية فى فلسطين .
٢ ـ وصف المستعمرات اليهودية والمشكلة الاجتماعية الخاصة بها (مشكلة الحياة الطائفية)

٣ ـ تناول فلسطين كموضوع للوصف الأدبى[١٦]، حيث كانت بمثابة قاعدة للأدباء الشبان يستلهمون منها انتاجاتهم الأدبية[١٧].

ومن كتاب هذه الفترة : يهودا يعارى ، واسحق شنهار .

القصة القصيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) :

ظهر بعد عام ١٩٤٨ جيل جديد من كتاب القصة القصيرة، وهذا الجيل كله من الشباب ، حيث أنهم ولدوا فى نهاية العشرينيات أو بداية الثلاثينيات واذا كان معظمهم من مواليد فلسطين فإن منهم أبناء للأدباء الذين جاءوا مع موجات الهجرة الثانية والثالثة وحلموا بمجتمع جديد فى فلسطين، ومنهم آخرون ولدوا خارجها ووصلوا إليها فى طفولتهم، وكان يجمعهم شعور واحد وهو العمل على تثبيت دعائم الاستعمار الاستيطانى ، ويصفه ليختنبوم بإنه شعور عنصرى أكثر من كونه شعوراً قومياً[١٨].إن أولئك وهؤلاء لم يعرفوا سوى ثقافة هى الثقافة العبرية الاسرائيلية ولم يتعلموا سوى لغة واحدة هى العبرية (باستثناء قسط من الإنجليزية التى تعلموها فى المدارس) وهى اللغة التى رضعوها مع لبن امهاتهم أو التى تلفظوا بها فى أيام طفولتهم . واتصلوا جميعاً منذ البداية بالمجموعة النشطة من اليهود التى كانت تطمع فى إقامة مجتمع إنسانى جديد يقوم على الصدق الاجتماعى وحياة التعاون وهم الذين عاشوا منذ البداية فى الكيبوتس والكيبوتساه ، وبدأ هؤلاء الكتاب يصفون الحياة الجديدة ولم يكن هذا الوصف جميلاً وحلوا كما أنه ليس من خلال مشاعر الاعجاب والدهشة ولكنه بمثابة أسلوب طبيعى يكشف مجموعة المشاكل التى تحيط بالحياة الجديدة المتقلبة[١٩].

ولقد تأثر هؤلاء الكتاب بموجات الأحداث القومية الكبيرة التى قادت الاستعمار الاستيطانى فى الأربعينيات ، الأحداث الحاسمة فى تاريخ الاستعمار الاستيطانى حيث انهار فى ذلك الوقت المركز اليهودى الكبير فى شرق أوربا من أساسه وانقطع الأبناء فى فلسطين مرة واحدة عن حياة آبائهم خارجها ، وفى حقيقة الأمر إنهم لم يحسوا بهذه الكارثة من أعماقهم لأنهم كانوا بعيدين عن هذه الأحداث ، بعيدين فى المكان ، وفى الروح ، وفى أسلوب الحياة ، وبعيدين أيضاً

عن التقاليد الدينية لبنى إسرائيل خارج فلسطين ، وهذا البعد حدد ملامحهم فهم يهود من فلسطين فقط ، تحرروا من عبء الأجيال ، ومن المتخلفات التي تراكمت على العقلية اليهودية خارج فلسطين ، فهم يهود جدد بلا تراث مثقل(٢٠).

ولقد مال عدد من هؤلاء الكتاب في بداية الأمر إلى القصة الروائية فعدت قصصهم ركيكة في مظهرها ومحلية في معناها ، وربما نجد أن الغالبية من بينهم لم ينحرفوا وراء الأحداث الخارجية ، لكنهم ارتبطوا ببنية الحياة ، وبدقائق الأحداث اليومية وتعمقوا في نفسية الانسان لكشف خباياها ، ونظراً لأن هؤلاء الكتاب كانوا يعيشون في الاستيطان الجديد المنفتح على العالم كله فإنهم لم يتأثروا بالكيان الاجتماعي للعصر فحسب بل تأثروا أيضاً بالكيان الأدبي ، فهم يعيشون في الاستيطان الجديد بكل أشكاله والذى يعتبر نقطة التقاء العديد من الثقافات ويتدفق حيوية بكل المشاعر الجديدة في العالم وخاصة في أمريكا أمثال : مارسل بروست ، واندريه جيد ، وجيمس جيويس ، وتوماس مان ، وتأثروا بأساليبهم التصويرية وأضافوها إلى أساليبهم وصورهم وكأنهم يعملون عملية تهجين سواء في مفهومها النفسى أو في أساليبهم التكتيكية فأخذوا عنهم فلسفة الحتمية حيث يرى الانسان نفسه في نطاق شروط مادية ـ نفسية ولا يمكنه تغييرها ، وإذا تصارع معها فستكون نهايته الفشل ، والانحطاط والموت . ومن هنا تجمعت لديهم الإثارة لكشف الجانب الوحشي في الحياة ، والمخاوف والعقبات التي تفسد الانسان(٢١).

وبالاضافة إلى ذلك فإنهم تأثروا بالكتاب العبريين السابقين وخاصة جنسين (١٨٧٩ ـ ١٩١٣) ، وبرينر (١٨٨١ ـ ١٩٢١)، وشوفمان (١٨٨٠ ـ ١٩٧٣) وذلك كضرورة من ضرورات التطور وكمرحلة إضافية في سلم الأدب العبرى ، وأخذوا منهم التركيز على وصف الإطار الخارجي للانسان على أساس ميوله الاجتماعية ، والتصوير الدقيق للطبيعة ، ووصف نفسية الانسان باضطراباتها وتخبطاتها . وفي الوقت الذى كان فيه تأثير جنسين وشوفمان بصفة أساسية أدبياً فنياً ، فإن تأثير برينر أخلاقياً اجتماعيا ، فقد أثر برينر على الجيل

الشاب بشخصيته الأخلاقية ، وبصراخه الشديد ضد تشويه شريعة حياة الشعب ، بقوة نقده للمجتمع الجديد فى إسرائيل ، بمطالبته احداث تغيرات حاسمة فى الانسان الإسرائيلى . وقد ظهر هذا التأثير واضحاً فى أدب موشيه شامير، وناتان شاحم وأهارون ميجد وآخرين . أما تأثير جنسين فكان فى الحبكة الخارجية التى تركزت فى الإعلان المتتابع عن الشعور وما وراء الشعور عند البطل كما أخذوا عنه كيفية التعبير عن حياة الإنسان بكل انفعالاته الداخلية .

أما بالنسبة للجانب الزمنى فإن هؤلاء الكتاب لم يصلوا إلى توحيد مفهوم الوقت ، فالوقت يقاس عندهم إما بالاعمال الخارجية الموصوفة وإما بالتأملات وطول الفكر[٢٢].

إن الرعيل الأول من كتاب القصة القصيرة فى الأدب العبرى الحديث غالباً ما كانوا يتحدثون بلسان أبطالهم فكتبوا باليدش وبعض اللغات الأخرى مثل الروسية والبولندية والألمانية وذلك من خلال كتاباتهم العبرية التى كان يغلب عليها أسلوب العهد القديم ، وتبعهم فى ذلك كتاب القصة القصيرة فى بداية عصر الهسكالاه الذين تأثروا إلى حد كبير بكتابات أسلافهم حيث نجد أن أبطال محبة صهيون ، والمنافق ، والتائه في دروب الحياة قد تحدثوا جميعاً بلغة الأنبياء والحكماء البليغة ، وإذا كان مندلى موخير سفاريم هو الذى بدأ عملية المزج بين لغة أبطاله ولغة الحديث الدارجة ، ثم تبعه بياليق وعجنون وشتيمان وهزاز ونجحوا في التعبير عن حديث أبطالهم بلغتهم المستمدة من لغة الحياة مما أدى إلى إثراء اللغة العبرية ثراء كبيراً ، فإن الكتاب بعد قيام الدولة قد تمكنوا تماماً من أن يزيلوا الحاجز بين لغة البطل ولغة الحديث الشائعة فى الحياة وذلك لوجود صور جديدة، تناولها الأدب مما كان يدفع بالأدباء لاستنباط أساليب لغوية جديدة للتعبير عن هذه الصور وعن أبطالها وليس ذلك لأن هؤلاء الأبطال لهم عالم يختلف عن عالم الآخرين فحسب ـ فبدون هذا الاختلاف لايكون هناك تطور فنى واضح ـ ولكن بصفة أساسية لاختلاف نوعية البطل والمتحدث بلسانه ولذلك نجد أن أساليب هؤلاء الكتاب تحتوى على بعض التعبيرات الشائعة الاستعمال والحكم والامثال

والدعابات كانعكاس لتصوير المجتمع بكل تياراته المختلفة[٢٣].
وبصفة عامة فإن القصة القصيرة قد تميزت بعد عام ١٩٤٨ بما يلى :

١ ـ الواقعية والتعبير بدقة عن الواقع الجديد
٢ ـ الاهتمام بتصوير الطبيعة
٣ ـ تناول المشاكل الاجتماعية
٤ ـ وصف الحياة فى المستعمرات اليهودية .
٥ ـ ظهور القصة الهادفة
٦ ـ التعمق فى نفسية الانسان لكشف خباياها.
٧ ـ وصف عرب إسرائيل .
٨ ـ تصوير العلاقة بين اليهود والعرب الذين يعيشون فى إسرائيل[٢٤].

ومن أشهر كتاب القصة القصيرة فى هذه الفترة : أشر براش، وحاييم هزاز ، ويوسف اريخا ، ومردخاى طبيب ، ويزهار سميلانسكى وبنيامين تموز ، وأهارون ميجد ، وموشيه شامير ، واسحق اورباز وعاموس عوز .

الفصل الثانى
الأدباء والنمازج الأدبية التى تناولت الشخصية العربية الفلسطينية
(١٩٤٨ ـ١٩٦٧)

إن الشخصية العربية الفلسطينية كانت من بين الموضوعات التى تناولها كتاب القصة القصيرة بعد ١٩٤٨ ويرى النقاد الإسرائيليون أن هؤلاء الكتاب قد تميزوا فى كتاباتهم عن الشخصية العربية الفلسطينية بالواقعية وذلك بخلاف من سبقهم فى العشرينيات والثلاثينيات والذين تميزت كتاباتهم بالرومانتيكية[٢٥]. إن هؤلاء الكتاب لم تتميز كتاباتهم بالرومانتيكية بما تعنيه هذه الكلمة من معنى (الحلم بتغير الواقع إلى أفضل) ولكنها كانت تتميز بوصف فلسطين كما كانوا يتصورونها خالية من العامل البشرى تنتظر من يأتى ليستوطنها كيفما يشاء .

والمرحلة الزمنية موضوع هذا الكتاب (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) حوت العديد من كتاب القصة القصيرة الذين تناولوا الشخصية العربية الفلسطينية فى كتاباتهم . وهؤلاء الكتاب منهم من ينتمى إلى جيل فلسطين أى جيل ما قبل ١٩٤٨ ، ومنهم من ينتمى إلى جيل الدولة أى جيل ما بعد ١٩٤٨ وهو الجيل الذى يسمى (بالموجة الجديدة) . ولقد وقع اختيارى على أحد عشر أديبا من هؤلاء الكتاب للتقديم لهم فى هذا الفصل وهم : أشير باراش، حاييم هزاز ، ويوسف أريخا ، ويوسف حنانى ، ومردخاى طبيب ، ويزهار سميلانسكى ، وأهارون ميجد ، وموشيه شامير، واسحق أورباز ، وناتان شاحم ، وعاموس عوز ، وهؤلاء الأدباء منهم مجموعة عاشت طفولتها فى فلسطين واحتكت احتكاكا مباشرا بعرب فلسطين ، واستنادا إلى ذلك فإن كتاباتهم تعبر عن رؤية واقعية وتجسد وجهة نظر واضحة تجاه الشخصية العربية الفلسطينية ، ومنهم مجموعة أخرى ولدت فى شرق أوربا وعاشت طفولتها هناك ثم هاجرت إلى فلسطين فى فترة متأخرة، ولذلك فإن هناك اختلافا واضحا بين رؤية المجموعة الأولى ورؤية المجموعة الثانية للشخصية العربية الفلسطينية .

المجموعة التى نشأت فى فلسطين

١ـ مردخاى طبيب [٢٦] :

يتميز "مردخاى طبيب" فى كتاباته القصصية بالقدرة على حشد الشخصيات والأحاسيس والانفعالات حول نقطة رئيسية واحدة يصل فيها إلى الذروة كما أنه يجيد تصوير النماذج التى يتناولها وكشف الأحاسيس والانفعالات الكامنة فيها .

هذا ويلاحظ أن معظم قصص طبيب تدور حول فترات من التاريخ اليهودى وبصفة خاصة تلك التى تتعلق بيهود اليمن سواء قبل نزوحهم إلى فلسطين أو بعد هجرتهم إليها واستيطانهم فيها[٢٧].

ومن أهم القصص التى كتبها فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ ما يلى :ـ

ـ مثل عشب الحقل (كعيشب هساديه) صدرت عام ١٩٤٨ وأعيد طبعها عام ١٩٦٢ .

ـ قيثارة يوسى (كنورو شل يوسى) صدرت عام ١٩٥٤ وأعيد طبعها أكثر من مرة أخرها عام ١٩٧٠ .

ويصف طبيب فى قصته "مثل عشب الحقل" بداية وجود المستوطنين اليمنيين فى القرية من خلال وصف البطل (يحيى بن يحيى) منذ ولادته وحتى سن البلوغ وعلى الرغم من أن القصة تحمل طابع أسلوب "حاييم هزاز" فى قصته "يعيش" من ناحية العنف واللين فى الحوار ، فإننا نجد أنه بينما يعرض "هزاز" الجانب الروحانى للوجود اليمنى ، فإن "مردخاى طبيب" يتناول الجانب الحسى للحياة وما يحدث فى البلاد ، كما نجد أن أبطاله أقل تنقيحا ، وأقل روحانية، وأكثر طبيعية وواقعية من أبطال "هزاز" [٢٨]. أما المجموعة القصصية التى بعنوان "طريق تراب" (درخ شل عافار) ، فهى تمثل مرحلة متقدمة من مراحل تطور القصة القصيرة عند مردخاى طبيب، وقصص هذه المجموعة تدور أحداثها أثناء حرب ١٩٤٨ ويحتوى بعضها على وصف للواقع اليهودى فى اليمن ، والبعض الآخر على صور جميلة وحزينة ، وأحيانا مضحكة عن حياة اليهود وعلاقاتهم وأحاسيسهم الداخلية فى أماكن استيطانهم الجديدة بفلسطين

وقصة "قيثارة يوسى" (كنوروشل يوسى)[٢٩]إحدى قصص هذه المجموعة ومن أهم أعمال طبيب الأدبية ، ويتناول من خلالها وصفا لواقع يهود اليمن الجديد فى فلسطين ولأحوالهم، كما يتناول بالاشارة عرب فلسطين ويرجع إليهم السبب فيما حل باليهود من كوارث وآلام.

والقصة تحكى قصة حياة "يد يدا" الأرملة اليهودية العجوزة التى نزحت من اليمن وأقامت مع اليهود فى فلسطين ، وفقدت ابنها "يوسى" الوحيد أثناء الحرب مع العرب وضلت يد يدا طريقها فى المستعمرة في وقت شديد الحرارة وهى تحمل تحت إبطها قيثارة ابنها يوسى لتعطيها إلى اصدقائه ، وفى الطريق تقابل عددا من أصدقاء يوسى ، فتدعوهم لمنزلها لتحكى لهم عنه، ولكن ما حكته لم يكن سوى قصة حياتها هى ، قصة المأساه التى كانت تعيشها منذ ولادتها لابنها الوحيد وما ألم بها من حزن بعد فقدها إياه على يد عرب فلسطين .

وقد حشد طبيب أكثر من عشر شخصيات فى القصة لخدمة النقاط التى يحاول إبرازها . والقصة ذات حبكة كبيرة ، ويديدا هى المحور الرئيسى الذى تدور حوله القصة ، وقد تمكن "طبيب" ببراعة فائقة من أن يوظف القصة لخدمة ما يهدف إليه من بدايتها إلى نهايتها .

والهدف الأول الذى سعى طبيب لإبرازه هو إثارة الروح اليهودية فى أبناء جيله حيث يذكرهم بأن العرب هم سبب الكارثة التىألمت بيديدا ، حيث كان يوسى ابنها الوحيد الذى يعولها مما كان يتقاضاه فى عمله من ورشة الأحذية كما أن العرب هم الذين أفقدوا اليهود سعادتهم لأن يوسى كان ضمن فرق الشباب الترفيهية ويبث شعاعا من البهجة والسرور داخل حياتهم الكئيبة. كما يريد أن يذكر اليهود بأنهم موضع سخرية بالنسبة للعرب فعلى الرغم من أنه وصف يونا بأنها مجنونة وشكلها قبيح ومرعب ومخيف ومثير للسخرية والاستهزاء ، فإنه يذكر بأن الذى يستهزىء منها هم الشباب العرب وليس اليهود .

أما الهدف الأخر الذى يسعى لإبرازه فهو حالة يهود اليمن فى فلسطين ، فهم يعيشون فى أدنى المستويات ــ وذلك كما يصورهم طبيب ــ حيث يعيشون فى أكواخ مهملة وقبيحة مليئة بالقاذورات ، ويعملون أعمال البناء .

هذا وقد أجاد طبيب تصوير مشاعر وأحاسيس "يديدا" ، وخلق الجو المناسب لملائمة التعبير عن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس، فمن ناحية اختار وقت الظهيره فى أحد أيام الصيف شديدة القيظ لتسير فيه "يديدا" الأرملة العجوزة ومعها القيثارة ـ التى لاتقدر على حملها ـ تحت إبطها فتجمع لها كل ما يجعلها تسير مترهلة متعبة وفى نفس الوقت تحمل ذكرى ابنها ـ القيثارة ـ فتسير متألمة يعتصرها الحزن على فقدها ابنها . وكذلك عندما ذهب الشاب إلى كوخ يديدا كان كل شيء موجود من آثار يوسى، أحواض الورد والريحان ، وجذع الشجرة الطويل الذى كان يجلس عليه يوسى ومعه أصدقاؤه وكل هذا يثير الحزن والأسى ويذكرها بمقتل يوسى .

ومن ناحية أخرى فان حياة يديدا كانت تعيسة منذ البداية فزوجها الأول كان يسب آباءها وأجدادها ، والثانى لقى معارضة من أهله فى زواجها بسبب قبحها ، وعندما تزوجت للمرة الثالثة أصيبت أمها بالعمى كما أن زوجها تغير حاله فبعد أن كان يعاملها بلطف أخذ يسب دينها ودين آبائها ، وكان يصفها بأنها زنجية قبيحة ودميمة ويقول لها: "إنك أظلمتى حياتى أنت وأمك العاهرة ، إنك تسببين لى غثيانا وكلما رأيتك أريد أن أتقيأ " بل وصل به الحال إلى أنه كان يبصق عليها ويركلها بكلتا قدميه ، ويديدا هنا إشارة إلى يهود اليمن كلهم والى ما يعانوه من إذلال ومهانة وهكذا تمكن طبيب من أن يسير فى خطين متوازيين من بداية القصة إلى نهايتها وذلك لخدمة ما أراد إبرازه .

ويلاحظ أن طبيب كان يرمز إلى عرب فلسطين باسم الاسماعيليين حيث يقول : "لقد كانت الأرملة التى كانت فقدت وحيدها منذ عشرة أشهر ، وقد قتله الاسماعيليون بطريقة شاذة فى بداية الحرب حيث قطعوا رأسه إربا إربا كما يقول فى مكان آخر" وما زلت أذكر صرخات ألمها فى جوف الليل من أثر الحروق وضرب السياط التى ينهال بها شيخ من الاسماعيليين" .

ويظهر فى القصة تأثر الكاتب باللغة العربية حيث استعمل أداة النداء العربية عندما قال "ياسالم" ، "يالله" ، "يا روحى" .

كما استخدم بعض الاستعمالات اللغوية الشائعة فى اللهجة

الفلسطينية مثل "بنت ناس" ، "على العين والرأس" ، "يلعن أبوك وأبو أبوك" ، كما يوجد إشارة إلى إحدى العادات الدينية اليهودية وهى البريت[٣٠].

٢ ــ يزهار سميلانسكى[٣١].

أول أديب إسرائيلى يولد فى فلسطين ويعبر من خلال إنتاجاته الأدبية عن تجربة الإنسان اليهودى فى صراعه مع البيئة الفلسطينية حيث نجده يركز فى كتاباته القصصية على التعبير عن ثلاث حالات نفسية عميقة للشخصية الاسرائيلية وهى:

١ــ الاحساس بالطبيعة الفلسطينية واللقاء مع الشعب الذى يعيش فى إسرائيل .

٢ــ ضرورة القيام بحرب دفاعية شرسة وعنيفة من أجل الحياة

٣ــ التعارض بين العالم النفسى الداخلى للفرد ، والوحدة الجماعية للجماعة التى تخضع رغبة الفرد لسياستها[٣٢]، وكان هذا واضحا فى قصته الأولى : "أفرايم يعود إلى الصفصفة"[٣٣]، فالموضوع فى هذه القصة يدور أساسا حول الصراع بين رغبات الشخص واحتياجات الجماعة، بين اشواق القلب ومطالب الساعة ، وهى تحكى قصة الشاب أفرايم الذى عمل فى حقل الصفصفة التابع للكيبوتس ولكنه لم يجد فى هذا العمل لذة واصلاحا لحاله فطلب من المسئولين فى الكيبوتس أن يلحقوه بالعمل فى أحد البساتين . وفى الاجتماع العام للأعضاء بحثوا هذا الموضوع ، وما أن تم التصديق نهائيا على طلب أفرايم حتى تراجع عن طلبه وأعلن عن أنه اتخذ قرارا بالعودة إلى حقل الصفصفة . وقوة القصة هنا ليست فى حبكتها ولكن تكمن فى تصوير مشاعر البطل وهو ما سعى اليه يزهار حيث حاول عن طريق سرد الأحداث أن يصور العالم النفسى للبطل . وهذه سمة واضحة فى كتابات يزهار القصصية حيث أنه لايهتم بالحبكة الخارجية بل نجدها نادرة فى قصصه ويكون أساس موضوعها الشعور الداخلى فى نفسية البطل ، وحواره مع نفسه، وتردده وشكوكه وحيرته ، وعدم مقدرته على اتخاذ القرار وحسم العمل الذى يجب عمله .

ولذلك يقول ى . كيشت : إن يزهار يعتبر مصـــورا أكـثر منــه قاصا، وبصفة خاصة بالنسبة للقصة الواقعية التى يجب أن يظهر فيها قدرة القاص الحقيقية على الحبكة القصصية حيث نجــد أن قصصــه يغلب عليها تصوير الحوار العام من ناحية والأحاسـيس والمشـاعر الداخلية لأبطاله من ناحية أخرى(٣٤). ومن أهم القصص التى كتبـها يزهار فى الفترة من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ :

ـ خربة خزعة ١٩٤٩

ـ الأسير ١٩٤٩

وهما من القصص التى تناول فيها يزهار الشخصية العربية معتمدا فى تناوله على دقة التصوير ، والتعبير عن مشاعر وأحاسيس أبطاله.

وقصة "خربة خزعة"(٣٥)ذات حبكة بسيطة جـدا ، تـدور حـول مجموعة من الجنود الإسرائيليين صدرت إليهم الأوامر باحتلال قريـة عربية ـ أثناء حرب ١٩٤٨ ـ وإجلاء سكانها عنها وكان لقيام الدولة أثر كبير على هؤلاء الجنود ، فالشعور بالقوة ، وبالسلطة ، وبـالجيش المحتل جعلهم لا ينتبهون لعناء المزارعين العرب المسنين والأطفـال والنساء الذين طردوا من بيوتهم وحقولهم فقاموا ضدهم بأعمال قاسـية بلا داع وبلا سبب أمنى أو عسكرى لأنهم كانوا يتعاملون مع مدنييـن عزل من السلاح ، الأمر الذى أثار "يزهار" فانتقد هذه الأعمال ، وهو لايعبر عن الشعور النفسى الخاص بالبطل الموجود فى الواقع القتـالى كموضوع رئيسى فى تفكيره ، ولكنه يركز علـى الحـالات السـائدة خارج إطار التوتر القتالى لأن أبطاله غير منغمسـين فـى مشـاعر الخوف والتوتر ولكنهم منغمسون فى شعور الاشمئزاز الخاص بنهايـة الحرب .

وهذه القصة تعكس صوت الضمير الأخلاقى والانسانى للجنـدى الإسرائيلى الذى يصرخ ضد الظلم والمصائب التى لحقـت بعـرب إسرائيل ، ويزهار نفسه كان يتحمل عبء هذه الأعمال ولم يكن فـى قدرته وقفها أو منعها لأنه ينفذ تعليمات صادرة اليه ، ومن هنا كـان الصراع الداخلى بينه وبين من يخضعون لتنفيذ الأوامر الصادرة اليه.

إن يزهار لم يصف القسوة وأعمال العنف فحسب بل وصف أيضا

مشاعر الجندى المغلوب على أمره تجاه هذه الأعمال ، ومظاهر الفوضى والعنف والتكسير والتحطيم والقتل والصراخ والعويل . فسكان خربة خزعة لم يقاوموا الاحتلال نهائيا ، أى لم تكن هناك معارك ولم يكن هناك أى محاولة للدفاع من العرب العزل من السلاح. فما أن بدأت العملية الإسرائيلية حتى فر السكان هاربين . وهنا يصف يزهار مشاعره عندما قابل زملاؤه الجنود ، " عربيا عجوزا يجر جملا محملا بالبضائع وتوسل اليهم ليتركوه ولكن الجنود سخروا منه "أطلق أريه طلقة نارية فوق رأسه فانقطعت أنفاسه وركع على ركبتيه" ثم قال أريه لموشيه "سأضربه وأنهى عليه الآن" ، وبعد ذلك قاموا بهدم بيوت القرية وعلى الرغم من أن البقية الباقية من السكان قد استسلمت تماما فإن الجنود قد استمروا فى بث الرعب والخوف، وفى التهديد والوعيد والطرد فأن الرجال أنينا وبكت النساء بكاء مرا والجنود يضحكون ويهللون ويزهار يقف سلبيا نظرا لعدم قدرته على الحسم ولكنه عبر عما بداخله بإظهار اشمئزازه من هذا العمل .

ويزهار ينظر إلى العربى المطرود على أنه إنسان وليس عدوا، فهو يبجل الأم العربية البطلة التى تصدت لهم ويقف فى حيرة من أمره لأنه لا يعرف ماذا يفعل ولذلك فهو يقول : "لم أستطع البقاء فى مكانى . فكأنه لم يعد يحملنى . انطلقت ودرت إلى الجانب الآخر" . وفى الحقيقة فإن يزهار يعارض الطرد فهو يقول لموشيه بوضوح "خربة خزعة ليست لنا ، ليس لنا الحق فى أن نخرجهم من هنا" ولكنه لم يفعل أى شيء ضد الطرد فهو نفسه يشترك فى العمل ويعبر فقط عما يدور فى نفسه من انفعالات فهو لايتحمل رؤية ما يقوم به الجنود من أعمال قاسية وينظر اليها بعدم مبالاه ويقول "إننا فعلنا ظلما، لم يكن فى وسعنا أن نمنعه لانكذب على أنفسنا ، يجب أن نعترف بالحقيقة ونقول : لقد أخطأنا" وبالإضافة إلى ذلك فقد أبدع يزهار فى وصف الطبيعة ، وفى هذا الصدد يقول دوفشانى : إنه لايوجد كاتب فى إسرائيل عرف الطبيعة الفلسطينية ووصفها بصدق وحب كما وصفها يزهار فعيناه وقلبه مفتوحون دائما لرؤية واستنشاق الطبيعة

الفلسطينية ويحتمل أن يكون طرد العرب قد اثر فيه لأنـهم يشـكلون جزءا من الطبيعة الفلسطينية(٣٦).

وهذا واضح لأنه لم يصف فى هذه القصة مدنا ومستعمرات آهلـة بالسكان ولكنه وصف الحقول والقرى ، وكل ما يدور فـى الطبيعـة وطبع كل حادثة بطابع الطبيعة كما أنه طبـع الاسـرائيلى والفـلاح العربى بطابع طبيعتهما الخاصة بهما. ولذلك نجد أن التراجيديا التـى فى القصة هى أن الجندى الاسرائيلى ينزع الفلاح من طبيعته الخاصة به . وهكذا يمكن القول بأن قصة خربة خزعة تقـوم علـى أربعـة محاور رئيسية:

١ـ الأعمال التى قام بها الجنود ضد سكان القرية .
٢ـ التعبير عن المشاعر الداخلية للانسان .
٣ـ تصوير الطبيعة .
٤ـ التعبير عن الضمير الأخلاقى .

هذا ويلاحظ أن يزهار قد استعمل بعض الألفاظ العربية مثل "استنا ياقديس" "ياخواجا" ، "احنا رايحين" "أخ يارب" ، كما استعمل بعـض الألفاظ من اللهجة الفلسطينية مثل "الله يعطيك ياخواجـا" ، "ايـش" ، "وحياة الله" ، "كل شىء ظل هون" .

أما قصة الأسير (٣٧) فتصف عمل مجموعة من الجنود اليهود فـى إحدى القرى العربية أثناء هدوء حرب ١٩٤٨، والحبكة القصصية هنا لاتدور حول طرد سكان القرية ولكنها تدور حول أسـر راع عربـى والتحقيق معه، ويزهار يلعب هنا دورا كما فى خربة خزعـة، علـى الرغم من أنه يستاء من هذا الدور وينظر إلى الجندى بنظـرة ذاتيـة هادفة وتدور قصة الأسير حول أربعة محاور رئيسيه وهى:

١ـ إلقاء القبض على الراعى العربى وغنمه بواسطة مجموعـة من الجنود .
٢ـ ذهاب الراعى الأسير إلى الموقع العسكرى .
٣ـ التحقيق مع الأسير فى الموقع العسكرى .
٤ـ إرسال الأسير فى عربة جيب ، مع القاص ، إلـى معسـكر القيادة .

وعلى الرغم من أن القاص لم يظهر إلا فى المحور الرابع فإنه يعتبر بطل القصة لأنه يعبر عن هواجسه النفسية وعن المشاعر الكامنه داخله. ونقص الوضوح فى شخصيته يدل على آلامه وعدم قدرته على الحسم ولذلك فإن القصة تشير إليه أكثر من الراعى العربى الأسير .

والمحور الأول يدور حول وصف الطبيعة ومايسودها من سكون وهدوء وحياة البساطة التى يعيشها الرعاه العرب مع قطعانهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قائد الفصيلة ومجموعة الجنود الذين معه والذين اخترقوا هذه الطبيعة وحطموا هدوءها وسكونها. فعندما رأى هؤلاء الجنود أحد الرعاة العرب أحاطوا به وقبضوا عليه وهنا يصفهم الكاتب فى سخرية تصل إلى درجة الاستهزاء قائلا: "إن القبض على الرعى الضعيف والمسكين أصبح كعمل حربى كبير، كمحاصرة كتيبة كبيرة للعدو" . وعندما قرر الجنود أخذ الغنم معهم اضطروا إلى أن يقلدوا أصواتهم حتى تسير معهم ولا تفر منهم، وهنا أيضا يسخر الكاتب منهم ويشبههم بالماعز والخراف وهو يتألم مما يحدثه الجنود من رعونه وتخريب فى مناطق البدو.

والمحور الثانى يدور حول الموقع العسكرى وهو مناقض للمحور الأول الذى يدور حول وصف الطبيعة وما يعكر صفوها. فالموقع العسكرى عبارة عن مكان مهجور مشوب بالقذارة بسبب الاهمال وموبوء بالحشرات. ويزهار يبرز هنا مدى الأسلوب الإجرامى فى المعاملة القاسية فبمجرد أن وصل الراعى الأسير إلى الموقع حتى جرى جندى ليجهز عليه وآخر يوجه اليه اللكمات .

والمحور الثالث يدور حول التحقيق الذى لا يتم على أساس من العدل . فالتحقيق شيء قاس : ضرب، وركلات ، وإهانة . وأسلوب الوصف هنا مختلف عنه فى المحاور السابقة فلا يوجد هنا الأسلوب الملحمى الواسع ، ولايوجد جمل طويلة، ولكن يوجد حديث متبادل عبر جمل قصيرة وسريعة . فإذا كان الأسلوب فى المحور الأول يشمل الطبيعة الهادئة فإنه يشمل هنا الجو الخانق، والشعور القابض فى حجرة التحقيق المظلمة والقذرة .

والمحور الرابع يدور حول مرافقة القاص للأسير إلـــى معسـكر القيادة وبذلك أصبح الأسير بين يدى القاص الناقم على ما يحدث. وهنا يحدث حوار داخلي بالنسبة للقاص وتدور داخله معركة عنيفة . فــهو يرى الانسان الذى فى الأسر وتثار أمامه المشاعر الانسانية ويفكر فى مصير زوجة الأسير وأطفاله والقاص هنا يرى فى نفسة صورة طبـق الأصل من الأسير، فهو أيضا أعزل ووحيد لا يملك القدرة ليكون حرا ويذهب إلى زوجته وأرضه، كما أنه ليس حرا فـــى أن يعمـل كـل مايريده لأنه يريد أن يطلق سراح الأسير ولكنه لا يمكنه ذلــك لأنـه يعرف ماسيترتب على هذا التصرف وعزاؤه فى ذلك أنه أسير بيــن أيدى آخرين وأنه ليس سيدا على أعماله ، كما أنه ليس حرا فـــى أن يعيش طبقا لإرادت .

ويقول دان ميرون : إن هذه القصة مثل بقية قصـــص يزهــار ، أثارت اهتماما كبيرا بسبب التحفظ الواضح من أى تطرف قومىٍ غير إنسانى، ورفض البطولة الرخيصة وتعليم الجيل الشاب فى إســرائيل ضرورة احترام العدو ممثلا فى الانسان العربى(٣٨)

هذا وقد استخدم يزهار بعض الكلمات باللغة العربية مثــل : فيــه سيجارة ، يعنى، ياسيدى ، أخ يارب، كما اســتخدم علامــة النــداء العربية "يا" عندما كان المحقق ينادى على الأسير ويقول له: ياحســن، واستعمل بعض الألفاظ من اللهجة الفلسطينية مثـل "وحيـاة عنيـه ، وحياة الله" .

إن هاتين القصتين هما من قصص يزهـــار التـى كتبـهما عــن الحرب(٣٩)، والدافع الرئيسى لكتابه هذه القصص واحد وهـــو دافــع المقارنة التصويرية لجماعة غريبة من الغزاه" ، ولطبيعة هادئة غــير قادرة على مواجهة هؤلاء الغزاة وليــس فــى إمكانــها إلا أن تــرد بالاستغراب والدهشة مع ملاحظة أن قصة الأسير قد تميزت بــالعمق الدرامى والفنى الذى افتقدت إليه خربة خزعه .

ففى خربة خزعه يظهر تدمير قرية بأكملها، والصــورة المريعــة لمجموعة من الجنود توجه نيران مدافعها إلى أبناء القريــة الــهاربين لعدم قدرتهم على الرد والمناظر المروعة لشوارع القريــة المحتلــة،

بينما فى الأسير يوجد وصف لاعتقال أحد الرعاة العرب حيث لحظة الإرهاب (العنف) المرتبطة بها أقل كثيرا من تلك المرتبطة بتدمير القرية وعلى الرغم من ذلك فإنه يوجد وصف اعتقال الراعي والذى لانجده فى أوصاف سكان القرية فى خربة خزعة .

فالبعد الدرامى الرمزى الذى بدأ التكهن به فى أوصاف خربة خزعة يصل فى الأسير إلى ذروته .

ففى خربة خزعة يوصف العمل الذى كان حادثا من حوادث الحرب وانعكس فى خيال القاص الذى يتعذب بآلام الضمير ويقدر القيم التاريخية للشعب الذى تحول من شعب مستوطن إلى شعب مشرد ومنفى . أما فى الأسير فيتضح أكثر أساس الابداع الفنى حيث أن يزهار لم يتمكن فقط من الرد على دلالات محددة خاصة بعالم واقعى ولكنه تمكن أيضا من خلق عالم حقيقى قصصى وعبر عن أفكاره من خلال الأحداث نفسها .

وإذا كانت خربة خزعة توصف على أنها ريبورتاج صحفى حيث ترتفع بعض الفقرات فيها إلى مستوى الرمز وتعبر فى أساسها عن الحاجة الفنية كقص الأحداث على حقيقتها وبترتيبها، فإن الأسير يتضح فيها التجسيد الشعرى المنظم والأكثر درامية لتجسيد الوجود الذى عبر عنه فى خربة خزعة .

٣ـ أهارون ميجد:(٤٠)

يعتبر أهارون ميجد من الأدباء الذين تناولوا موضوعات جديدة فى الأدب العبرى الحديث من خلال تناوله للواقع اليهودى الجديد فى فلسطين بعد ١٩٤٨ وكتب العديد من الروايات والقصص والمسرحيات التى تحتوى على عناصر كثيرة من السير الشخصية(٤١)، تحرك فيها من الواقعية فى انتاجاته الأولى إلى السريالية ثم إلى الواقعية مرة أخرى ، وترجمت معظم أعماله إلى عدة لغات أجنبية (٤٢).

وهو من أبرز الكتاب الذين مالوا إلى الأسلوب الفكاهى ـ حيث تمثل الفكاهة عنده العمود الفقرى بالنسبة لانتاجاته الأدبية كلها ـ مستمدة من المواقف المضحكة المتجمعة فى المشاكل العميقة التى

اعترضت الواقع اليهودى الجديد فى فلسطين والذى كان يظهر فى صورة الدعابة اللطيفة أو من خلال السخرية اللاذعة ، وبصفة عامة فإن قدرة أهارون ميجد تكمن فى الوصف وليس فى الحبكة القصصية حيث يتمكن من خلال الوصف فى تصوير الانسان اليهودى وتصرفاته وأعماله بدقة وبأسلوب فكاهي رائع . وقد وصل إلى قمة المهارة في الوصف فى وصفه للمجتمع الكيبوتسى حيث يصف الحياة وهو يغوص في أعماقها وصفا مليئا بالفكاهة الرائعة والتى نادرا ما تكون عنيفة ـ تهكمية ـ وكذلك فى وصف القرى العربية الفلسطينية[٤٣].

ومن أبرز القصص القصيرة التى تناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية هى قصة الكنز (همطون)[٤٤]، وقد وصل فيها أهارون ميجد إلى قمة الأسلوب الساخر اللاذع فى تناوله لهذه الشخصية .

وهذه القصة تدور أحداثها فى إحدى القرى العربية التى استولت عليها السلطات الإسرائيلية ، وهى تفتقد الحبكة القصصية ولكنها تعتمد على التصوير الدقيق ، تصوير الطبيعة ، وتصوير النفسية العربية وانفعالاتها وأحاسيسها الكامنة . وعلى الرغم من تعدد الشخصيات فى القصة فانها جميعا شخصيات مساعدة تكمل الصورة التى يريد الكاتب تصويرها ، وتخلق منها النموذج المثير للضحك بواسطة الأسلوب الساخر ، صورة سليمان الانسان العربى الذى طرد هو وزوجته أمينة وابنهما على من منزلهم ، فسليمان هو البطل وهو المحور الرئيسى الذى تدور حوله القصة ، ونجد أن الكاتب يتحدث بلسانه ليعبر عن انفعالاته فى أسلوب ساخر .

فسليمان بعد أن طرد من القرية هو وأسرته تذكر الكنز الذى تركه عارف فعاد يبحث عنه لعله يجد ما يقتات به وأثناء محاولاته الوصول إلى الكنز ينظر إلى منزله فيرى فيه إمرأة غير زوجته وإبنا غير إبنه فتثور حميته ويتخيل لو أنه طلب من المسئول أن يعود إلى أرضه ، وهنا يصوره ميجد فى صورة انسان ذليل يسب نفسه وأهله فى سبيل الحصول على أرضه ويوضح الكاتب بأسلوب ساخر محاولات

سليمان من أجل الحصول على أقل القليل ليعود إلى أرضه وعندما سخر واستهزأ به المسئول ، عاد سليمان ورأى فى منزله إمرأة غير زوجته وإبنا غير إبنه وتخيل لو أنه يدخل عليها ويقطعها إربا إربا أو أن يغتصبها لينتقم منها ولكنه بمجرد أن يحس بأصوات أقدام بالقرب منه يهرع مختفيا مرتعدا لئلا يقبض عليه اليهود ، وهكذا تتعاقب الصور فى سخرية لاذعة .

وقد استخدم ميجد فى هذه القصة بعض الكلمات باللغة العربية مثل: الحكومه ، فقير ، يعنى ، طيب ، أسكت ، ابريق ، مجنون، طحين ، مسكين ، أهبل ، الشيطان ، مرحبه ، الحمد لله، اسحب شد . كما استخدم علامة النداء العربية "يا" حيث يقول: يا فلاح، يا فقير ، يا حرمه ، يا سيد ، يا ولدى ، يا روحى ، واستعمل بعض التعبيرات من اللهجة الفلسطينية مثل : "وحياة الله" ، "العكروت" ، اجاك عريس ، ابشر بالخير .

٤ ــ موشيه شامير:(٤٥)

اهتم شامير فى أعماله الأدبية بعكس الصراع اليهودى قبل ١٩٤٨ وكذلك دراسة الاتجاهات الاجتماعية والطبقية ومناقشة المشاكل القومية وانتقاد حياة الكيبوتس . كما تناول الشخصية الإسرائيلية المولودة فى فلسطين وصراعها مع الأهداف والقيم الصهيونية التى صاغت شخصيته من ناحية ، والأهداف والقيم التى دافع عنها شامير شخصيا من ناحيةأخرى . كما تناول ظروف المجتمع الاسرائيلى بعد ١٩٤٨ . وقد لاقت كتابات شامير إقبالا لدى الشباب الاسرائيلى للأسباب التالية : ــ

١ ــ تمكنه من وصف الحياة فى فترة ما قبل ١٩٤٨ ليس كمتطلع اليها أو ناقد لها ، ولكن من خلال تجاربه الشخصية العميقة فجاءت كتاباته قريبة من مشاعر الشباب وتمس ماضيهم وحاضرهم .

٢ ــ تمتاز قصص شامير بالحبكة القصصية . فهو من القلة فى الأدب العبرى ، الذى تمكن بخيال خصب وقدرة فائقة من تصوير وحبك القصة القصيرة .

٣ ـ اهتم الأدب العبرى فى الفترة الأخيرة بالحياة النفسية والروحانية لليهودى فى المهجر ولذلك لم يكن هناك إثراء فى الحقائق المادية ، حيث كان العالم المادى ثانويا ويوجد أساسا فى المهجر والمشاكل اليهودية ، ولكن شامير اهتم بالعالم المادى فليست المشاعر عنده هى الأساس ، ولكن الأساس عنده يكمن فى الماديات . فشامير لم يصف فى كتاباته المنفى واليهود المطرودين والمشتتين ، ولكنه وصف الشباب الإسرائيلى الذى يحارب فى فلسطين .

٤ ـ أن أهمية كتابات شامير تكمن فى حبكتها التى تقوم على أساس الوجود الإسرائيلى والمجتمع الإسرائيلى والطبيعة الإسرائيلية ، كما أن أبطاله موجودون فى المجتمع المادى المحسوس(٤٦).

٥ ـ وتتميز كتابات شامير بأنها خاليةمن الوصف المعقد وتتركز أساسا حول الانسان والكشف عن أهدافه وزمان ومكان أعماله وكذلك الجو والطبيعة المحيطة به ، كل ذلك بلغة غنية تحوى خليطا هائلا من اللهجات وبصفة خاصة لهجات الإسرائيليين المتأثرين فى نطقهم للعبرية بمصادر البيئة الثقافية الأصلية الخاصة بهم . ومن أهم القصص التى كتبها من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ مايلى:

هوسار في الحقول ١٩٤٧ـ بكلتا يديه ١٩٤٩ـ ملك لحم ودم ١٩٥١ـ الخشخاش المر ١٩٥٨ .

وقصة "هو سار فى الحقول" أولى قصص شامير ، صور من خلالها الكيبوتس بحجمه الكامل ، ولم يصور الطبيعة ، ولكنه صور الحياة ، والكيبوتس بأنشطته وأعماله ، وتنظيمه ، وما يدور فيه من مناقشات ، ولم يعرض المشاكل فى أسلوب نقدى ولكن فى صورة عرض للحقائق . والقصة تدور حول أورى بن الكيبوتس الذى أنهى دراسته فى مدرسة الزراعة وعاد إلى قريته ليستقر فيها ولكنه اكتشف على الفور خراب منزل والديه وانهياره ، وأساس التراجيديا هنا هو التوتر بين حياة مجتمع الكيبوتس وحياة العزلة .

أما قصته "بكلتا يديه" فذات حبكة قصصية كبيرة جداً وهى تحتوى على خطوط بيوجرافية بمثابة تسجيل ذكريات لليهودى الذى سقط قتيلاً فى معركة مع العرب الذين أحاطوا بقافلة وهى فى طريقها إلى القدس . ولقد غاص شامير فى أعماق البطل ، وصور مشاعره الداخلية بدقة متناهية حتى تحولت شخصيته إلى صورة أسطورية ترمز للجيل الشاب الإسرائيلى كله على أنه جيل التضحيات(٤٧).

وقصته "ملك لحم دم" تمثل قمة انتاج شامير ، وهى تتناول وصف لحياة اليهود فى عصر الهيكل الثانى ، وتصور الواقع التاريخى والثقافى لليهود فى ذلك العصر فقد تناول البيت الملكى، والوزراء والموظفين ، والكهنة الذين كانوا يخدمون فى الأماكن المقدسة ، ورجال الجيش ، وبيت المقدس ، والسنهدرين، والعلاقة بين يهود الاسكندرية ويهود القدس ، أى أنه استعان بكل ما يساعده على ابراز صورة هذا العصر .

أما قصة "الخشخاش المر"(٤٨) فهى إحدى قصص شامير القصيرة التى تناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية ، وقد اكتملت لها كل المكونات البنائية للقصة القصيرة عند شامير حيث نجد أن الحبكة القصصية تقوم على أساس الطبيعة الفلسطينية ، أى الطبيعة الفلسطينية التى استوطنها اليهود بما تحويه من حدائق الزيتون والموالح والنخيل ومن مناظر طبيعية جميلة أضفاها الله على أرضه ، والمجتمع الإسرائيلى ممثلاً فى الموشاف ومزارعه ونظمه والأساليب التى ينتهجها المسئولون فيه لطرد العرب من أراضيهم . كما أن أبطاله حقيقيون فعلاً وليسوا من رسم الخيال . والشخصيات الرئيسية فى القصة هى : أبو فاضل وزوجته شريفه وابنها الرضيع ، وشبيرا اليهودى الذى يعمل عنده أبو فاضل وأسرته وتوجد شخصية ثالثة وهى سليمان : وهو ممثل للجنة الموشاف وقد استعان بها شامير ليخدم الحبكة القصصية .

وتعتمد هذه القصة أساساً على الديالوج بين شبيرا وأبوفاضل: فأبو فاضل يقوم هو وزوجته بخدمة شبيرا ورعاية الأرض والمواشى والدواجن ، ولكن سليمان مندوب لجنة الموشاف يطلب من شبيرا أن

يطرد أبا فاضل وهنا يستجيب شبيرا لطلب سليمان ويطلب من أبا فاضل ذلك . ويصور شامير الصراع النفسى الذى يدور داخل شبيرا ويغوص فى أعماقه مصورا مشاعره وأحاسيسه ، فأبو فاضل بالنسبة له كل شيء ولكنه لا يملك إلا تنفيذ الأوامر ولا يستطيع منع قرار طرده ولذلك نجده لايقوى على اخبار أبى فاضل بقرار الطرد مرة واحدة فهو يحاول أن يجد سببا يجعله مبررا لذلك فينتهى به الأمر إلى أن يبلغه بقرار الطرد حرصا على حياته هو وأسرته وخوفا من أن يأتى المسئولون ويقتلونه هو وزوجته وابنه ، وهنا يغوص شامير مرة أخرى فى أعماق أبى فاضل ويصور ما ألم به من حزن وألم وكذلك أحاسيسه ومشاعره الداخلية .

وكان شامير يطلق على عرب فلسطين اسم عرب اسماعيل فيقول: "وصلت الأشجار إلى قمتها إلى الحد الذى لايمكن معه رؤية المنزل لامن الطريق ولامن الهضبة ، لامن مركز الموشاف ولا من اتجاه عرب اسماعيل " كما يصف أبا فاضل عندما ركع أمام شبيرا متوسلا اليه حتى لايطرده فيقول : " هذا عرض اسماعيلى بكل تفاصيله ودقائقه".

كما استعمل شامير بعض الكلمات من اللغة العربية سواء على لسان أبى فاضل أو لسان شبيرا ، فمثلا يقول على لسان شبيرا : "يا ابا فاضل خد معاك الناس والأولاد وكل شيء والله يسلمك ، ويقول على لسان أبى فاضل : نعم أفندى ... نعم أفندى، تفضل ... لا، يا شيخ ، ويقول فى مكان آخر "أبدا ، ياعمى ، أبدا " هذا بالاضافة إلى أن شامير قد استعمل بعض التعبيرات من اللهجة الفلسطينية مثل:

هه ، يازلمه ، او أين أنت ــ شو الله يسلمك ياأفندى ــ موش بيكفى ياشيخ.

٥ ــ ناتان شاحم :(٤٩)

يعتبر "ناتان شاحم" من مجموعة الأدباء الشبان الذين يستوحون إنتاجاتهم الأدبية من حياة الكيبوتس وما يعتريه من مشاكل ، واهتم بصفة أساسية بهذه المشاكل ولكنه لم يفعل شيئا أكثر من أنه عرضها من خلال انتاجاته الأدبية ولم يقدم الحلول أو البدائل لكل هذه المشاكل

التى تعترض حياة المستوطن اليهودى ولكن بعض المحاولات التى بذلها أخيرا أخرجته من نطاق هذه الدائرة الضيقة . ومن أهم القصص التى كتبها شاحم:

ـ الحبوب والرصاص ١٩٤٨
ـ دائما نحن ١٩٥٢
ـ حجر على فوهة البئر ١٩٥٦

ويقدم شاحم فى المجموعة القصصية "الحبوب والرصاص" نماذج بشرية من اليهود فى فلسطين ، ويركز من خلالها على الانسان اليهودى الذى يرى نفسه العمود الفقرى للحياة ويغوص فى أعماقه ويبرز مشاعره ومنطقه إزاء الحياة فى الكيبوتس ، كما يصف الطبيعة من خلال المزاج الشخصى للبطل (الشخصية اليهودية) فى فلسطين ويركز بصفة أساسية على الجيل السابق والجيل الحالى فى الكيبوتس ، وما قابلهم ويقابلهم من مشاكل تحتاج إلى حلول لها .

وفى قصته "دائما نحن" يركز شاحم على البطولة الخاصة بشباب "البالماح" الذين حاربوا فى النقب ، وهو يحاول أن يلقى الضوء من خلال هذه القصة على فترة معينة من التاريخ اليهودى ، ويجتهد فى إبراز عدد من الصفات الخاصة المميزة للشباب المحارب ويعبر عن فهمه للحياة وملامحه الروحانية والأخلاقية كل ذلك بهدف التأثير على نفسية الشاب اليهودى .

أما المجموعة القصصية "حجر على فوهة البئر" فهى أهم ما كتبه شاحم وعنوان هذه المجموعة هو أسم أكبر قصصها التى تدور حول الهجرة اليهودية الثالثة إلى فلسطين ، ويهتم فيها بالوصف الملحمى وتصوير الملامح العامة للفترة التى تمت فيها هذه الهجرة .

ومن قصص هذه المجموعة ، قصة "تراب الطرق"(٥٠) وهى أهم قصص شاحم التى تتناول الشخصية العربية فى فلسطين . وقد ركز شاحم فى هذه القصة ــ كعادته ــ على نماذج بشرية يهودية وعرض من خلالها مشكلتين من أهم المشاكل التى تواجه المستوطن اليهودى فى فلسطين ، وذلك بعد أن قدم وصفا على لسان البطل للطبيعة .

والكاتب يبدأ قصته "بكفتوروبتس" وهو يركب عربته ــ التى

تجرها الخيول ـ وينقل عليها البرميل الخاص به من القدس إلى مستعمرة "روش بناة" ويركب بجواره الياهو ، اليهودى المهاجر حديثا إلى فلسطين ويريد أن يذهب إلى مستعمرة يبناه للبحث عن عمل هناك، ويصف الكاتب على لسان البطل الطبيعة الساحرة بدقة متناهية وبراعة فائقة كما يصف العرب وقطعانهم وهم منتشرون فى الحقول وأثناء سير العربة يعرض الكاتب من خلال الحوار بين " كفتوروبتس" و"الياهو" إحدى المشكلات التى تواجه اليهود فى فلسطين ، وهى عدم وجود العمل اللائق بهم ، حيث يحاول البطل من خلال حديثه أن يجعل الياهو يفقد الأمل فى وجود أى عمل بل إنه يضع العراقيل أمام إمكان وصوله إلى مستعمرة "يبناه" فيقول له إن المسافة بين مستعمرة "روش بناه" ومستعمرة "يبناه" كبيرة جدا وإذا حاول الوصول إليها ، كما أنه يصف له القائمين على مثل هذه المهام هناك من أمثال هوخمان، وسولتس ، ودننفلد بأنهم أشرار ومستغلون ولصوص ولايقدمون أى مساعدة ، ويصف له ما يعانيه هو نفسه من عمله الذى لا يليق به . والكاتب عرض المشكلة ولم يقدم الحل المناسب لها .

أما المشكلة الثانية التى عرضها الكاتب فهى مشكلة عرب فلسطين وما يلاقونه من معاملة سيئة وهذا يتضح من وصف كفتوروبتس أثناء سيره بعربته وما يظهر من سوء حالتهم ، والفقر المدقع الذى يعيشون فيه والمذلة والمهانة التى يعاملون بها . والكاتب يشير على لسان البطل ـ إلى أنهم يعيشون مع العرب فى سلام قبل أن يأتى نظام الحكم العسكرى ولكنه لايفصح عن هذا ولا يسترسل فى توضيح ذلك.

هذا وإذا كان الكاتب لم يقدم الحل لهذه المشكلة أيضا فإنه حذر فى نهاية القصة قائلا "إن العربى ليس صورة تصويرية فى كتب التاريخ ولكنه وجود حى يقف على أرضه ، وينظر فى عداء للآخرين" .

وقد استعمل الكاتب بعض الألفاظ باللغة العربية مثل : يلعن أبوك، أسكت، ولا أنا، روحوا للبيت، شوفوا . كما استعمل بعض التعبيرات من اللهجة الفلسطينية مثل شومالك، شوبدكم .

٦ ـ عاموس عوز : (٥١)

يهتم عاموس عوز فى كتاباته القصصية بتناول الأحداث العامة

التى يجعل الكيبوتس مسرحاً لها ، ولذلك فإن كثيرين من النقـــاد قــد أشاروا إلى أن قصصه عبارة عن قصص عن الكيبوتس(٥٢). وفـــى الحقيقة فإنه على الرغم من أن أحداث قصصـــه تـدور علـــى أرض الكيبوتس فإنها ليست عن الكيبوتس نفسه ويرجع ذلك إلى انه ولد فـــى عالم بعيد عن الكيبوتس ولم ينضم إليه إلا وهو فى سن الرابعة عشرة.

هذا وقد تميزت كتابات "عـــاموس عـــوز" القصصيـــة باســـتخدام صورتين أساسيتين من الصور البلاغية وهما التشبيه والاســتعارة(٥٣) ومن أهم القصص القصيرة التى كتبها :

- الحب المتأخر من مجموعة حتى الموت ١٩٦٥
- بلاد إبن آوى مجموعة قصصية ١٩٦٥

وفى قصة "الحب المتأخر"(٥٤) نجد أن البطل الرئيسى مهتم بشـــىء واحد وهو أن الروس يدبرون لإبادة الشعب اليهودى ، وفى صـــــورة مخازية صورت رفيقة هذا البطل فى صورة قذرة وكل شىء حولـــها مشوب بالقذارة والتشبيه جاء لخلق تشابه بين الأفكار التى تظهر فـــى نطاق القصة ، وهذا التشابه لايغير ما يوجد من فــــروق بيـــن هـــذه الأفكار، ولكن يبرز ما يوجد من علامات مميزة تحدد ملامح الصورة الواحدة .

وفى قصة بلاد إبن أوى(٥٥)وهو الأسم الذى تسمى به المجموعـــة القصصية ، نجد أن بطل القصة يسمى "متحيا هود مقوب" لم يتناولـــه الكاتب على أنه شخصية عادية بل شبهه بالقرد فظهر لنا البطل جسمه جسم قرد ويتمتع بقدرة كبيرة وبالوحشية التى فى الغابات .

أما قصة "البدو الرحل والثعبان"(٥٦)فهى من القصص التى كتبـــها عاموس عوس وتناول من خلالها الشـــخصية العربيـــة الفلســطينية واستخدم فى كتابتها أيضاً أسلوبى التشـــبيه والاســتعارة، وعنـــاصر القصة الرئيسية هنا هى البدوى، وجئولا، والثعبـــان . وقـــد اســـتعار الكاتب القهوة ليعبر بها عن مشاعر "جئولا" فعندمـــا غلـــت القـــهوة وأصبحت على وشك الفوران أسرعت جئولا ورفعت الإناء من فـــوق النار فرغم أنفها غلت ورغم أنفها ستبرد. والقهوة هنا تعكس شـــهوات

"جنولا" المكبوتة ويمكن أن نرى فيها مثالا للقصة كلها ، فجنولا التى سببت لها حياة العزلة الغليان لم تصل إلى جلسة السكرتارية لحضور الاحتفالات التى كانت تشرف عليها . والسبب فى ذلك هو البدوى وبعد ذلك الثعبان فقد تركوها فى انفعال وغليان وفوران وهذا يعنى بالنسبة للقهوة فقدها أما بالنسبة لجنولا فيعنى فقدها حضور الجلسات . ولعل الكاتب كان موفقا هنا فى اختياره للقهوة ليعبر بها عن مشاعر "جنولا " لأن جنولا مرتبطة بالبدو وحياتها جزء من حياتهم . وإذا كانت القهوة هى المشروب المفضل عند البدو فهى أيضا ذات أهمية خاصة بالنسبة لجنولا لأنها تجيد صنعها وكانت سببا فى أن يكون لها مكانة خاصة فى الكيبوتس.

وهكذا فإن محاور الحركة الرئيسية للقصة تظهربصورة أكثر وضوحا استخدام صورتى التشبيه والاستعارة ، فلقاء جنولا بالبدوى الراعى البدائى يكمن فى علاقة التناقض والاستمرارية . إن الخوف ، والاشمئزاز ، والانسحاب هم ثمار الحالة النفسية المعروفة لبنت الكيبوتس . فعندما قال البدوى "فتاة جميلة ، حقا إنها فتاة جميلة جدا ، وأنا ليس لى فتاة ، مازلت صغيرا" نجد أن هذه الكلمات تتكرر فى حديث جنولا تعبيرا عن الخوف فتقول : "أنت ما زلت صغيرا ، صغيرا جدا ، ربما تبلغ من العمر العشرين ، وربما الثلاثين ، أنت صغير ، لاتوجد فتاة من أجلك، صغير جدا" وعندما يقوم الراعى بطرد العنزة التى تتفوه بألفاظ غير مفهومة ويقول : "لاعقل ولالطف" نجد أن جنولا تمنعه من طرد العنزة وتردد "لاعقل ولا لطف" وهنا تحولت العنزة وفى حدود الحوار إلى مركز استعارى ، فإذا كان الراعى قد قال هذه الكلمات لأنها قطعت عليهم الحديث بأصوات غير مفهومة فإن "جنولا" رددت نفس الكلمات على أساس أن الراعى قد اخترق أراض غير مخصصة له أى أن العنزة كانت بمثابة مرآة تعكس أعمال الراعى من اختراقه لحقول الزراعة .

أما الثعبان فقد لعب دورا رئيسيا فى القصة فقد استعاره الكاتب ليحل محل البدوى وما لم يحدث بين "جنولا" والبدوى فى البستان ، حدث بعد ذلك بين "جنولا" والثعبان بين أحواض الزهور التى فى

المستعمرة فبعد أن لدغها الثعبان نجدها تتقلب علـــى جنبيــها وتلــف وتسند رأسها المتعبة على ذراعيها ونشوة المتعة تهز جسدها ، وهكـذا تحول أبطال القصة الثلاثة : البدوى، وجنولا والثعبــان إلــى ثلاثـــى واحد.

وأسلوب الكاتب فى الصياغة باستخدام التشبيه والاستعارة واضـــح أيضا فى استخدام بعض الكلمات ، فكلمة "لتخرج" استخدمها الكـــاتب لتسجل الهدف من حركات "جنولا" فهى تستخدم لتصور خروج الفتـــاة إلى الطريق الترابى وهى فى طريقها إلى بســـتان المســـتعمرة ، ثـــم تتكرر الكلمة مرتين فى الفقرات التى تصور خروج جنولا من الحمام مرتين فى الفقرات التى تصور خروج جنولا من الحمام : الخـــروج الأول من الفتحة التى فى السور يؤدى إلى البدو ، والخروج الثـــانى من الحمام يؤدى إلى القىء والغثيان . فكلمة "لتخرج" هى صدى يتردد فى وعى الفتاة، وكأنها تعبر عما فى عقلها وكأن كل المشاعر تـــتركز فى هذه الكلمة .

المجموعة التى تربت فى شرق أوربا

١ــ أشير باراش : [٥٧]

قاص واقعي من أدباء العبرية الذين اهتموا إلى حد كبير بأدب غرب أوربا وذلك على عكس برنر ، وجنسين ، وبركوبيتس الذين تأثروا أساسا بأدب شرق أوربا ولذلك نجد أن كتاباته يظهر عليها التأثير الغربى أكثر من تأثير الإرث اليهودى على الرغم من اهتمامه بالماضى التاريخى لليهود .

وكان باراش ينظر إلى مشاكل الحياة بنظرة حزينة كئيبة ، ويصورها كما هى كمتطلع إليها دون أن يقدم لها الحلول المناسبة . ويشير "دوف سيدن" إلى أن هذه النظرة الحزينة كانت انعكاسا للواقع الأليم الذى كان يعيش فيه[٥٨].وتميزت كتاباته القصصية بما يلى :

١ــ الواقعية التى لاتتجاهل مشاعر النفس وأحاسيسها .

٢ــ أن قصصه التى لاترتبط بالمشاكل الاجتماعية لاتكثر فيها الشخصيات ولكن يتوفر فيها العمق الفنى الذى يمكن تجاهله فى الأدب القصصى العبرى.

٣ــ يوجد فى قصصه من التفصيلات مايساعد على إيضاح وبلورة الصورة التى يريد إبرازها دون إسهاب فى تفصيلات جانبية .

٤ــ تميزت قصصه القصيرة بالبساطة وتناول نماذج من الحياة البشرية كما هى فى الواقع .

ومن أهم القصص القصيرة التى كتبها من ١٩٤٨ -١٩٦٧ وتناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية :

ــ الحاج إبراهيم ١٩٥٢.

ــ صفية المسيحية ١٩٥٢.

وقصة الحاج إبراهيم عبارة[٥٩]عن وصف لنموذج من نماذج الحياة اليومية بين عرب فلسطين . وقد جاء الوصف دقيقا وواقعيا دون إفراط فى تفاصيل جانبية حيث ركز باراش فى وصفه على شيئين رئيسيين وهما الحاج إبراهيم (بطل القصة)، والطبيعة وقدم فى

سبيل ذلك مايظهر كل شيء منهما فى صورة واضحة ، والقصة بصفة عامة تفتقد إلى الحبكة القصصية .

فالحاج إبراهيم ، تاجر خضروات ، حج ذات مرة إلى مكة المكرمة ولذلك فإنه يلقب بالحاج ، وهو رجل مسن يرتدى قفطانها طويلا ، وله لحية منسقة حول وجهه العريض . يجمع الخضروات من صديقته ويحضرها إلى محله صباح كل يوم ليبيعها إلى زبائنه، وعندما لايكون عنده خضروات فإنه يجلس أمام محله مع بعض أصدقائه من العرب يتسامرون ويتمازحون. أما فى يوم الجمعة فبعد الانتهاء من الصلاة في المسجد فإن ابنه أو حفيدة يضع عدة كراسى من الأماليد المجدولة أمام المحل ليجلس عليها الحاج وضيوفه ويقدم لهم النرجيلات ومعها الجمرات النارية ، ونظرا لأنه يجلس كل يوم في مكان واحد فإنه يعرف جميع الذين يمرون من أمامه سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ويرد عليهم التحية بوجه بشوش وهادىء .

وإذا كان باراش قد أشار إلى أن ابراهيم رجل مسلم حيث أنه أدى فريضة الحج ويؤدى صلاة الجمعة ، فقد أشار أيضا إلى أنه يؤمن بالقدرية : فعندما سأل الحاج إبراهيم شخصا من زبائنه عما تكتبه الصحف ، وقال له الشخص : "هؤلاء يكتبون ولكن الله هو الذى يعلم الحقيقة" ، رد عليه الحاج قائلا : "لقد أصبت فيما قلت يامعلمى ..الله فقط هو الذى يعرف . إنه هو الذى أحضرنا إلى هذا العالم ، وهو الذى سيأخذنا منه" .

أما بالنسبة للطبيعة فقد وصفها باراش على أنها جميلة وتنتشر فيها الحدائق المليئة بالأعشاب والغابات . وهكذا نجد أنه قدم وصفا دقيقا وواقعيا لبطل قصته والطبيعة التى يعيش فيها .

وقد استخدم الكاتب بعض الألفاظ العربية المصحوبة بعلامة النداء العربية مثل : ياخواجة ، ياست ، يامعلمى ، ياحاج .

وقصة صفية المسيحية(٦٠)،هى قصة أخرى من القصص التى تناول باراش من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية ، وهى أيضا عبارة عن وصف لنموذج آخر من نماذج الحياة اليومية لعرب فلسطين . وقد كتبها بنفس الطريقة التى كتبت بها قصة الحاج إبراهيم،

فهى تفتقد إلى الحبكة القصصية وتخلو من التفاصيل الجانبية . ويتم التركيز فيها على وصف النموذج البشرى (صفية المسيحية) من ناحية، والطبيعة التى تتمثل فى المنزل الذى تعيش فيه من ناحية أخرى .

فصفية امرأة عربية متزوجة من عربى ولها خمسة أولاد يرتدون الملابس القطنية القذرة ، وشعر كل منهم يسقط على مقدمة رأسه ، وهم مصابون دائما بالتهاب العينين المزمن .

وكانت صفية ترتدى فستانا طويلا لونه أزرق قاتم ، وقدماها حافيتان ، وقذرتان وتقوم ببيع الغلال (القمح ، والفول ، والبسلة، والذرة) لليهود ، وتأخذ سمسرة مقابل ذلك من أصحاب هذه الغلال . وفى أوقات الفراغ تجتمع هى وزوجها مع أصدقائهما من العرب فى منزلها يلهون ويمرحون .

أما المسكن الذى تعيش فيه صفية المسيحية فهو منزل حجرى، منخفض داخل فناء مسور ، وبجانب مدخل الفناء يوجد شىء يشبه الكوخ وبه صندوق كبير تحفظ صفية فيه الغلال التى تبيعها .

ويلاحظ فى هذه القصة أن الكاتب لم يستخدم ألفاظا عربية باستثناء كلمتى بدل ، ودربكة ، وربما يرجع ذلك إلى أن بطلة القصة كانت قد تعلمت الألمانية فى طفولتها ولذلك فإنها كانت تنطق الألفاظ العربية ـــ عندما يكون الحديث على لسانها ـــ كما ينطقها الأجانب وليس كما ينطقها العرب .

٣ـــ حاييم هزاز:(٦١)

خصص هزاز معظم كتاباته لتصوير الشخصيات والنماذج والصور كما خصص بعضها لوصف حياة القرى والزعماءالقرويين .

ويقول لخنتبوم : إن هزاز قد تميز فى بعض كتاباته بالأسلوب الهزلى (شالوم عليخم)(٦٢). ولكن فى حين أن "شالوم عليخم" قد استخدم هذا الأسلوب فى وصف الشخصيات والأشياء والموضوعات فهو يعرض الدعابة التى ليس فيها طابع السخرية القوية بل التى تميل إلى الموضوعية .

هذا وقد تميزت كتابات هزاز ـــ بصفة عامة ـــ بما يلى :

- القدرة الفائقة على المزج بين عالم الشتات اليهودى والعالم اليهودى فى فلسطين.
- الوصف الدقيق لواقع الجماعة اليمنية سواء فى اليمن أو فى فلسطين .
- التحدث مع كل شخصية من شخصياته بلغتها المناسبة .
- وصف للواقع اليهودى فى فلسطين والصراع مع الطبيعة الفلسطينية .

ومن أهم الكتابات القصصية التى كتبها :
- الأفق المائل مجموعة قصصية ١٩٥٨.
- أبويوسف ١٩٦٣.

وفى المجموعة القصصية "الأفق المائل" يصور هزاز ملامح الاستيطان اليهودى فى فلسطين ومحاولة تكيف المهاجرين الجدد مع الأرض الجديدة التى هاجروا اليها .

أما قصة "أبويوسف"(٦٣)، احدى قصص هزاز التى تناوله من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية . بطلها أبويوسف ، الرجل العربى المسن الذى يعمل حارسا فى أحد السجون البريطانية بفلسطين فى نهاية الانتداب البريطانى . وهى عبارة عن ديالوج بين أبى يوسف وأحد السجناء اليهود ، ويريد هزار أن يبين من خلاله بطولة الشعب اليهودى وإصراره على العودة إلى فلسطين، ومايتحمله من مشقة وصعاب فى سبيل ذلك ، وكذلك صورة العربى : الرجل المطحون بين رحى الانتداب البريطانى من ناحية ، والاستعمار اليهودى الجديد من ناحية أخرى ، والذى بارت أرضه وزرعه، وسلبت منه ممتلكاته فاضطر إلى تركها والعمل فى حراسة السجون .

وهذه القصة تعكس نوعا من التوتر والقلق الناتج من خوف هزاز من انهيار القيم اليهودية وضياعها وتهديد الاستقرار فى الأرض التى اغتصبوها من أصحابها ، حيث نجد أن أبا يوسف ينبه الياهو أثناء حديثه معه قائلاً له : "نحن ياسيدى الأرض ، نحن الغالبية" ، "إن الذبح لايخيف البهائم الكبيرة" ثم يقول له أبويوسف مرة أخرى" لقد انتقم بدوى من عدوه بعد ٢٠ سنة وهو بذلك يحذر من أن العرب لن

يتهاونوا فى الأخذ بثأرهم ولو بعد حين، ولذلك يجب التنبيه حرصاً على الكيان اليهودى الجديد .

وقد استخدم الكاتب بعض الكلمات العربية مثل "أيوه" ، "يـاولدى" كما استخدم بعض الأمثال الشائعة مثل "لشفت الجمل ولا الجمال" .

٤ــ يوسف أريخا :(٦٤)

قاص ملحمى ، يصف الأحداث والأمزجة النفسية ، ويعطى رأيه فيها بصراحة ووضوح . ويعتبر من الكتاب الذين انتقدوا الحياة القديمة فى المهجر بالاضافة إلى تصويرهم للواقع الجديد فى إسرائيل، ولكنه تميز عنهم بأن تناوله للواقع اليهودى فى اسرائيل لم يكن على صورة واحدة ، ولكنه تناول عدة صور متنقلا بين الكيبوتساه أو الكيبوتس إلى الموشافاه ، ومن الموشافاه إلى المدينة . ولذلك فإنه يعتبر من الأوائل الذين نقلوا صورة واضحة عن حياة الكيبوتس والكيبوتساه ، وحياة القرية والموشافاه ، وعن حياة العمال الزراعيين ، وعمال البناء ونجح فى تحديد خطوط تطور الحياة الجديدة .

"ويوسف أريخا" يكتب قصصه من خلال نظراته الخاصة ، نظرة المصور الذى ينظر إلى الطبيعة ثم ينسج قصته من خلال وجهة نظره، كما يصور أعمال الانسان بصراحة وملاءمة بين أعمال الانسان وطابعه ومصيره . ويتميز أسلوبه بالبساطة والوضوح ، وهو يستعين بكل مظاهر الطبيعة لخدمة حبكته الرئيسية ، ويصور غرائز الانسان : أشواقه بالنسبة للمرأة ، وحبه للمال ، وذلك عن طريق انسجام الأساس الوصفى التصويرى مع الحوار الدرامي .

وهذا وقد اختار "يوسف أريخا" القصة القصيرة لتكون أساساً لإنتاجاته الأدبية ، وتميز بالاندماج فى شخصياته والتعبير عن مشاعرهم ، كما تميزت كل قصة من قصصه بمستوى ثقافى معين ، وتعمد اخضاع اللغة والأسلوب لطبيعة الموضوع وذلك حتى يجذب القارىء إليه ويجعله وكأنه فى نزهة سريعة بين المناظر والأعمال التى تحدث فى الواقع .

ومن أهم القصص القصيرة التى كتبها فى الفترة من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧القصص التالية من مجموعة قصص أريخا ١٩٤٥:

ـ يوم وليله
ـ خطوات فى النار
ـ منظر ليلة
ـ المصور والراعى

ويتناول "أريخا" من خلال قصة "يوم وليلة" طبيعة فلسطين ، والمنظر الطبيعي والمنظر الشخصى ، وفى حقيقة الأمر أن هذه القصة عبارة عن تصوير للحب بين طبيب بيطرى شاب فى الموشافاه ومدرسة شابة . والقصة تعكس لنا الطبيعة الخضراء ومشاعر البطلين. وقد حاول الكاتب تصوير المواقف بما يخدم الحبكة الرئيسية للقصة.

أما قصة "خطوات فى النار" ، فإن أريخا يعود فيها إلى المهجر ، ويحكى من خلالها قصة امرأة يهودية ، اختبأت من الجيوش الألمانية فى حديقة منزل رجل بولندى فى ذروة أيام القتال . وقد كتبت هذه القصة بسلاسة فيها عمق موضوعي ولكنها تفتقد التسلسل الفكرى .

أما قصة "منظر ليلة" فهى احدى القصص القصيرة التى كتبها "يوسف أريخا" وتناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية(٦٥) وهى تحكى قصة شخص يهودى اسمه جلعادى من مستعمرة " تل تسوك ذهب إلى المدينة ليشترى أدوية لابنته حسب توصية الطبيب . ولكن نظرا لما حدث له من اضطرابات بسبب مرض ابنته فإنه نسى آخر موعد للاتوبيسات ووقف حائرا، وفى النهاية قرر ألا يبيت فى المدينة وأن يذهب إلى القرية ولو سيرا على الأقدام . وفعلا بدأ يبحث عن سيارة توصله إلى خارج المدينة ليواصل سيره فى الحقول رغم أن الطرق مليئة بعصابات السلب والنهب فركب سيارة مكتظة بالفلاحين العرب الذين كانوا ينظرون إليه بنظرات مختلفة بين مبتسم ومستعجب حتى وصل إلى مفترق الطريق وهو المكان الذى حدده لنفسه ليبدأ سيره على الأقدام ، فقفز من العربة وبدأ السير بين الحقول وهو يحمل دوسيها من الجلد البالى ، يقفز بين الكتل الطينية اليابسة بسهولة وسرعة وأمامه هدف واحد وهو الوصول إلى زوجته وابنته اللتين تنتظرانه بفارغ الصبر" .

بينما هو يسير وسط الطريق : وقع بين أيدى جماعة من المدنيين المسلحين (مجموعة من الفدائيين) . وزعيم الجماعة هو أبويوسف وحسب وصف الكاتب فإنها نفس الجماعة التى هاجمت "تل سوك" منذ ثلاثة أيام وقد أخذ أفراد الجماعة جلعادى معهم إلى مكان بعيد ، وبعد أن وصلوا إلى هذا المكان واستراحوا مثل جلعادى أمام أبى يوسف للتحقيق معه ، ولم ينكر جلعادى أنه كان من بين من ردوا بالنيران عندما هوجمت مستعمرتهم فأمر أبويوسف بتفتيشه ، وعندما أخرجوا مامعه من أوراق وقعت عيناه على صورة تشبه صورة ابنته "لطيفة" تماما ، وبمجرد أن أوضح له جلعادى أنه يريد الذهاب إلى ابنته ليعطيها الدواء قال له : اذهب إلى ابنتك بسلام . بسم الله الرحمن الرحيم .

وفى هذه القصة نجد أن يوسف أريخا قد صور الأحداث فى بساطة وواقعية ويتضح هذا عندما صور العرب وهم يركبون السيارة مكتظين فوقها ، وفى تصويره للطبيعة ، الأرض بكتلها الطينية، وصوت المياه وهى تنحدر فوق الصخور كما عبر أحسن تعبير عن مشاعر أبى يوسف عندما رأى صورة جلعادى التى تشبه صورة إبنته والتى أثارت فيه دوافع الشفقة والرحمة، ودفعته إلى اتخاذ القرار بأن يتركه ليذهب إلى ابنته .

هذا ويلاحظ أنه يوجد فى القصة إشارة إلى بعض عادات عرب فلسطين ، والتى تبدو من وصف الكاتب عندما جلس أبويوسف يستمع إلى التحقيق وتجمع رجاله على بعد خطوات منه كنوع من الاحترام ، وعندما جلسوا وأرجلهم مطوية فى دائرة حول النار منكبين على مأدبة الغداء على عجلة حديدية مقعرة يأكلون فتات الخبز كعادة العرب عندما يجلسون ليأكلوا وعندما ردد على لسان أبى يوسف قوله " بسم الله الرحمن الرحيم " اذهب إلى ابنتك بسلام كعادة أى مسلم عندما يبدأ عمله.

وقصة الرسام والراعى هى إحدى قصص "يوسف أريخا" القصيرة التى تناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية أيضا(٦٦). وهى تحكى قصة راع عربى ، كان يرعى الغنم وفجأة وجد أمامه الرسام

اليهودى "ألونى" الذى كان يجلس فى خلوة ليرسم بعض المناظر الطبيعية فانتابه القلق لأن هذا المنظر أثار فى ذاكرته حادثة قديمة فتخيل أن هذا الرسام يجهز التسجيلات لشراء هذه الأرض على الرغم من أنه أوضح له أن عمله رسم المناظر فحسب ولذلك بدأ يحكى لألونى قصة عابر الطريق المجذوب الذى أدعى أنه عراف واستخدام كل أساليب المكر والخداع ليكسب ثقة أهل القرية . ثم اتضح فى نهاية الأمر أنه لورانس القائد الانجليزى وقد فعل كل ذلك من أجل أن يثير حمية عرب القرية ليحاربوا مع الانجليز ضد الاتراك لتكون الغلبة لهم ويسيطرون على البلاد . وفى النهاية عبر الراعى لألونى عن قلقه وخوفه من أن تكون مهمته للسيطرة على مزيد من الأراضى مثل الرجل اليهودى الذى شاهده منذ فترة بسيطة يقف وينظر بنظارته ويبدى عدة انطباعات وبعد ذلك بعدة أيام جاءوا وأقاموا فى المكان الأكواخ وسورا من الأشجار مليئا بالحجارة ، وسلكا شائكا ، وبرجا عاليا وعلى قمته مصباح كهربائى كبير ثم جاءت الجرارات وسوت الأرض التى حوله تمهيدا للاستيطان . وقال له فى النهاية : "إننى لاأستبعد ياخواجة أن يحدث بعد أن أذهب أن أجىء غدا وأجدكم قد أقمتم لكم مكانا للاستيطان هنا مما أثار الرعب والقلق فى قلب المصور خوفا من أن يعود الراعى من الخلف وينقض عليه ويتخلص منه .

وهنا نجد أن "يوسف أريخا" قد تمكن من أن يعبر فى وضوح عن مشاعر العربى ومايتتابه من مشاعر الخوف والقلق إزاء مصير أرضه التى يتم الاستيلاء عليها بعد سلسلة من الإجراءات المختلفة وذلك من خلال الديالوج بين الراعى والمصور ، وقد ظهرت قدرة "أريخا" الفائقة على تجسيد مشاعر الراعى فى قصة العراف التى حكاها الراعى للمصور وأعرب فيها عن قلقه من أن تكون مهمته أيضا تمهيدا للسيطرة على مزيد من الأراضى مما أثار الرعب فى قلب المصور خوفا من أن يتخلص منه الراعى حتى لايكمل مهمته .

هذا ويلاحظ أنه يندر استعمال "أريخا" للألفاظ العربية ، فعلى الرغم من أنه قد أشار إلى أن أبطاله يتكلمون العربية فإنه كان يتحدث

على لسانهم بالعبرية ولم يستعمل الألفاظ العربية سوى مــــرة واحـــدة عندما قال "سلام عليكم" كما أنه استخدم أداة النداء العربية مرة واحــدة أيضا.

٤ــ يوسف حناني :[٦٧]

قاص واقعي ، يصف الحقائق كما هي بكل تفاصيلها وقد بدأ حياته الأدبية بكتابة الرواية ثم انتقل بعد ذلك إلى كتابة القصة القصيرة وذلك على عكس من سبقه من الكتاب اليهود ــ أمثال يهوشع بريوســـــف ، وشرجا قدرى ــ الذين بدأوا حياتهم الأدبية بكتابة القصة القصيرة ثـــم انتقلوا إلى كتابة الرواية فى مرحلة لاحقة ، وقد تأثر إلى حـــد كبــير بيوسف حاييم برنر وتميزت كتاباته القصصية بما يلى :

١ــ اهتم بتناول النماذج غير العادية فى الحياة أى التـــى تســبب الآلام والأحزان للآخرين ، وكذلك التـــى تســبب لــهم الفــرح والسعادة .

٢ــ الدقة في التصوير ، والقدرة الفائقة على التعبير .

٣ــ يهتم بالتفاصيل الدقيقة ويصفها مجردة وبواقعية تامة .

٤ــ ضعف كتاباته فنيا ، ولكن هذا الضعف كان يتلاشـــى تحــت ستار مشاعر الشفقة والرحمة التى كانت تغمر قلبــــه وتنعكــس آثارها على كتاباته .

ففى روايته "تحت وطأة الاحتلال" التى تتناول مشكلة الشباب الذين كانوا تحت وطأة الاحتلال البريطانى ــ نجده يتتبع الأحداث الأليمـــة التى فى الحياة من خلال التصوير الدقيق للواقع بكل تفاصيله .

وفى روايته "منزل مدهون فى حديقة" نجــده يعــرض مصـــاعب الطموحات الحالوتسية ، ومخاوف الحالوتسيم من المخاطر التى تعــم الحياة .

وفى روايته "خنظ" يصف "حنانى" الآلام التى تحيط بعملية الاندماج بين الطائفتين : السفردية ، والاشكنازية وذلك من خلال الحب بين فتاة سفردية وشاب اشكنازى .

ومن أهم القصص القصيرة التى كتبها عـــن الشـــخصية العربيـــة الفلسطينية خلال الفترة ١٩٤٨-١٩٦٧: قصة مزمار أحمد ١٩٦٠ .

وتدور احداث هذه القصة[٦٨]على شاطىء نهر اليرقون حيث كان يسراليك (شخص يهودى) يجلس ويضع قدميه فى المياه الدافئة ويطيح بجسده على الرمال بين الأضواء والظلال التى تتحرك كالفراشات وترك نفسه لتموجات الرياح المليئة بالمياه والشمس ، ويشعر فجأة بأن شخصا ما يقف بالقرب منه وحينما فتح عينيه وجد شابا عربيا اسمه احمد يقف على بعد خطوات معدودة منه وراء جذع شجرة ومعه مزمار يعزف عليه وما أن رأى أحمد يسراليك وهو ينظر إليه حتى انتابه الخوف، وبدأ ينظر حوله بنظرات مليئة بالرهبة والرعب .

وهنا يوضح الكاتب كيف حاول يسراليك أن يزيل مخاوف أحمد بأن نادى عليه ، وأثنى على عزفه وطلب منه أن يستمر فيه ثم كرر له ثناءه بعد أن انتهى من العزف، وشكره على استجابته وأعرب له عن شديد إعجابه، ودعاه لتناول الطعام معه مما جعل أحمد يطمئن له ويتبادل معه الحديث حتى افترقا .

ويلاحظ فى هذه القصة أنه على الرغم من أنها تفتقد الحبكة القصصية فإن ذلك قد تلاشى أمام مظاهر الشفقة والرحمة التى حاول حنانى أن يعرب عنها من خلال تصرفات يسراليك . كما يلاحظ وصف الطبيعة بتعبيرات جميلة تتناسب مع جمالها حيث يقول : "اضجعت بكل جسدى بين الأضواء والظلال التى تتحرك كالفراشات، أضجعت نائما وغير نائم أسمع تموجات المياه المتدفقة التى كانت ترن فى أذنى وكأنها نغم ساحر" .

كما وصف حنانى الطبيعة بدقة متناهية فلم يترك شيئا من مظاهرها التى تبدو له إلا وذكرها : الأشجار ، والنهر ، والمياه الدافئة، والأضواء ، والظلال والفراشات ، والرياح والشمس والحيوانات ، والقرى والمستعمرات اليهودية ، والطرق الرملية والمزارع والحدائق .

ويظهر فى القصة تأثر الكاتب باللغة العربية حيث استخدم بعض الكلمات العربية مثل : كترخيرك ، أنت لازم بتعلم عبرانى، أمسك ، أيوه ، كما استخدم علامة النداء العربية مثل : ياولد ، ياأحمد .

واستخدم بعض التعبيرات الفلسطينية مثل : تعالى هون ،

شواسمك، كويس كتير ، أنا موش باعرف ، وحياة الله انـــت كويـــس كتير .

٥ــ اسحق أورباز: (٦٩)

قاص ملحمي وعاطفي ، اتسمت كتاباته القصصية بتناول النمـــاذج الفردية ، والتعمق في جوهر الأحداث ويعتمد في كتاباته على قدرتـــه الفائقة على التعبير عما يجيش في صدره من الانطباعات التي تنعكس عن احتكاكه بالواقع .

وهو يلعب دورا بارزا في قصصه ولذلك فإنه يحاول إيجاد علاقـــة بينه وبين أبطالها ولكن في حذر حتى لايترك فرصة للقارىء للخلـــط بينه وبينهم ، وربما تبدو هذه العلاقة في وجود تشـــابه بيـــن اســـمه والأسماء التي يختارها لأبطاله . ففي قصته "منزل لشخص واحد" نجد أن البطل اسمه ايزيدور لورنين وهذا الاسم يشترك مع أوربـــاز فـــي الحروف الثلاثة الأولى(٧٠). وبصفة عامة فإن أوربـــاز يتمـــيز فـــي كتاباته القصصية بمايلي :

١ــ ضعف البناء العام وبصفة خاصة في القصص التي تتنـــاول سير الحياة الشخصية .

٢ــ يوجد فـــي قصصـــه إحســـاس قـــوى بـــالواقع الاجتمـــاعي الاسرائيلي.

٣ــ على الرغم من أنه لايكتفي بوصف المناظر البارزة التي فـــي الطبيعة ، ويحاول إيضاح الصور الجانبية حتى ينقـــل صـــورة دقيقة للقارىء فإنه غالبا مايغير من وصف التفـــاصيل الجانبيـــة حتى لا يكون هناك تطابق بين الصورة ومصورها .

٤ــ يتميز باستخدام الجمل القصيرة ، وكسر وحدة الجملة الطويلـــة باستخدام علامات الترقيم .

٥ــ يستخدم بعض التشبيهات الرمزية مثل : النمل ، والشـــمعدان الفضي ، وهذه الرموز تتحول إلى محور رئيسي تتجمع حولـــه مناظر الحاضر وذكريات الماضي .

٦ــ لديه القدرة على أن يجعل بطله الرئيســـي يتحـــدث بطـــرق مختلفة، ويستطيع نقل نقطة التركيز من البطـــل الرئيســـي إلـــى

الصور التي حوله .

٧ـ البطل الثائر في قصصه يتحول وهو في قمة ثورته إلى شخص يطلب الخلاص أو مطارد يبحث عن ملجأ هادىء.

ومن أهم القصص التي كتبها وتناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية (١٩٤٨-١٩٦٧) قصة "على سن الطلقة" ١٩٥٩ وقصة "على سن الطلقة" تحكي قصة أسير عربي وقع بين يدى "اسحق ظاورباز" وهو يتجول بالقرب من قطاع غزة ـ عندما كان يؤدى الخدمة العسكرية ـ ليستمتع بشمس الخريف وبينما كان يسير أمام مغارة تفوح منها رائحة روث الماعز والجمال ، أحس فجأة بشعور غير عادى تجاه هذه المغارة فاعتقد أن هناك شخصا مايوجد داخلها وحاول أن يختبر شعوره الداخلي فدخل المغارة وحينئذ رأى بعض الأسمال السوداء البالية فاتجه على الفور إلى دولاب الملابس وما أن فتحه حتى خرج منه شخص عربي طويل القامة وفي يده بندقية فوجه اليه أورباز العوزى وضغط على الزناد فلم تخرج الرصاصة فألقى العربي بندقيته وسقط على وجهه تحت قدميه وطلب منه ألا يقتله .

وكان أورباز يخشى أن يكون العربي من الفدائيين ولكنه فكر وقال: صحيح أن هذا الرجل يضع على رأسه عقالا وكوفية ولكنه لايحمل كارل كوستاف مثل الفدائيين أنه يحمل بندقية تركية قديمة ذات ماسورة يعتليها الصدأ، إذن فهو أحد الفدائيين القرويين ورفع يده من فوق الزناد وأمره أن يرفع يديه فوق رأسه ويسير أمامه في الطريق إلى خربة جامون ، وكان يوجه اليه السباب والشتائم ويضربه حيث يقول : أمرته أن يرقد على وجهه ويديه ممدوتين ومبسوطتين ، وضربته بحذائي على مؤخرته" .

وهما في الطريق سأله عن اسمه فقال العربي أن اسمه "إبراهيم عبد المحسن جاموني" من قرية جامون . وفتشه أورباز فلم يجد معه شيئا سوى بعض التبغ اللزج ونصف رغيف ومنديل بداخله صورة لفتاة عربية ، وصورة عائلية لعجوز أعمى ، وشابين منفوضي الصدر، وعيونهم تلمع ، وشاربيهما مدببان . أحدهما يمسك ببندقية والآخر في يده سيف فارسي معقوف. وعندما سأله أورباز عن

الصور قال العربى : إن الفتاة هى خطيبته التى أحبها ولكـن والدهـا رفضه زوجا لها لفقره ولذلك فإنه يفكر فى بيع البندقية بالاردن ليقـدم ثمنها مهرا لعروسه ، أما العجوز الذى فى الصورة الثانية فهو والـده الذى توفى بعد أن رفض أن يترك هذه القرية وقال : إن أبى وجـدى ولدا هنا وماتا هنا . إننى سأبقى هنا والله يفعل مايريد والشاب الـذى يحمل البندقية هو شقيقه ، وقد قتله اليهود ، أما الشاب الاخـر فـهو إبراهيم عبد المحسن جامونى نفسه .

ويصف أورباز الخربة عندما اقترب منها ومعه الأسير أنه بقـى منها شجرتان ومبنى من الحجارة على قمة التل المنخفض، كما أنه لم يترك شيئا فى الطريق إلا وأشار إليه : الأراضى الزراعية القاحلـة ، والأراضى الخربة ، والمنازل المهدمة ، كما يعبر عن الخوف الـذى انتاب العربى عندما اقتربا من الخيمة التى يجلس فيـها شـموليك ـ ضابط المخابرات ـ وتوسل العربى إليه ألا يقتله ولكنـه لـم يأبـه بتوسلاته وسلمه إلى شموليك الذى نادى على يعنكلسـه ـ جنـدى ـ وأمره بأن يأخذه ويحبسه ولايجعل أحد يتحدث معه كما سلمه البندقيـة ليجربها حتى يرى إذا كانت صالحة للاسـتعمال أم لا وفعـلا أخـذ يعنكله البندقية ولكن بدلا من أن يجربها فى الهواء الطلق فإنه جربـها فى العربى فأراده قتيلا .

ويلاحظ أن الكاتب قد استخدم بعض الكلمات من اللغـة العربيـة مثل: الشباب ، مفيش مهر، ومفيش بنت .

ونود أن نشير إلى أنه رغم وجود تشابه بين أورباز فى هذه القصة ويزهار سميلانسكى فى قصة "الأسير" حيث يلعب كل منهما دورا فى قصته ويتشابهان فى وصف الطبيعة فإن هناك خلافا جوهريـا بيـن تناول كل منهما لموضوع الأسير ويكمن هذا الخلاف فيما يلى :

١ـ حاول يزهار سميلانسكى أن يعبر عن نقمته على مايحدث مع العربى الأسير ومايننتظر زوجته وأولاده من مصير يائس ، أمـا أورباز فهو الذى ذهب بنفسه والقى القبض على أسـيره بـدون تعليمات صادرة اليه .

٢ـ عبر سميلانسكى عن ضيقه إزاء عدم قدرته علـى اطـلاق

سراح أسيره خشية مايلقاه من عقاب بعد ذلك من قيادتــه ، فــى حين أن أورباز كان يمكنه إطلاق سراح أسيره دون أن يــترتب على ذلك أى شيء ولكنه لم يفعل .

٣ـ لم يلحق سميلانسكى بأسيره أى أضرار ولم يوجــه إليــه أى سباب أوشتائم أثناء اقتياده إلى الموقع العسكرى ، ولكن أوربــاز كان يوجه إلى أسيره الشتائم ويركله بكلتا قدميه .

٤ـ إذا كانت قصة سميلانسكى قد أثارت اهتماما كبــيرا بسـبب التحفظ الواضح من أى تطرف قومى غير إنســانى ، ورفـض البطولة الرخيصة ، وتعليم الجيل الشاب فى اسرائيل ضـــرورة احترام العدو ممثلا فى الانسان العربى فعلى العكس من ذلك نجد أن قصة أورباز تثير القلق ازاء هذا التطــرف غــير الإنســانى والمعاملة البشعة للإنسان العربى .

مراجع وهوامش
الباب الأول

١ـ بدأت حركة الهسكالاه بين اليهود فى ألمانيا فى ثمانينيات القرن الثامن عشر (١٧٨٠إلى١٨٨٠) متأثرة بالإشعاعات الفكرية الأوربية التى تسربت إلى حاراتهم الضيقة . وقد حاولت إزالة الفواصل التى تفرق بين اليهودى والشعوب الأخرى وغيرت صور الحياة اليهودية.

٢ـ كلوزنر ، يوسف : تاريخ الأدب العبرى الحديث (هستوريا شل هسفروت هعفريت هحدشاه) ، الجزء الأول ، دار نشر ص اسب، تل أبيب ، ١٩١٠ ، ص ٦ .

٣ـ عبدالفتاح .نازك: أضواء على الأدب العبرى الحديث من أواخر القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٢، ص١٢ .

٤ـ عبدالفتاح ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

٥ـ الشامي .رشاد: لمحات من الأدب العبرى الحديث مع نماذج مترجمة مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٧٩ ، ص ١٣ .

٦ـ شاكيد ، جرشون : الأدب القصصى العبرى (هسبورت هعفريت) ١٨٨٠ ـ ١٩٧٠ ، دار نشر كتير الكيبوتس الموحد ، ١٩٧٧ ، ص ٦٢ـ٦٤ .

٧ـ هيئة التحرير : القصة القصيرة اتجاهاتها وقضاياها ، مجلة فصول ، المجلد الثانى ، العدد الرابع ، ١٩٨٢ ، ص ٥ .

٨ ـ قطب . محمد : قراءة فى القصة القصيرة ، المكتبة الثقافية ، رقم ٣٥٨، ١٩٨١ ، ص ٣ .

٩ـ ليخنتبوم . يوسف : القصة القصيرة (هسبور هعفرى) أنثولوجى، دار نشر بترسكى .

١٠ـ ايبن . يوسف : قاموس مصطلحات الأدب القصصى (ملون موناحى هسبورت) ، الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٧٨ ، ص٢-٣ .

١١ـ ايبن : المرجع السابق ، ص٣ .

١٢ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص٨ .
١٣ـ لاحوفر .ت : تاريخ الأدب العبرى الحديث (تولدوت هسفروت هعفريت هحدشا) دار نشر دافير ، تل أبيب ، الجزء الثانى ، ص ١٢٧.
١٤ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ٢٠ .
١٥ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ١٣ - ١٧ .
١٦ـ الشامى : المرجع السابق ، ص ٦ .
١٧ـ كورتسفيل باروخ : بحث عن الأدب الاسرائيلى (حبوس هسفروت هيسرائيليت) ، دار نشر جامعة بارابلان ، ١٩٨٢ ، ص ٤٨ .
١٨ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ٥٩ .
١٩ـ كرامر . شالوم : الواقعية وتحطيمها (رياليزم أوشبيراتو) ، دار نشر أجودت هسوفريم بيسرائيل ص ٩ ، ١٠ .
٢٠ـ كرامر : المرجع السابق ، ص ١٠ .
٢١ـ كرامر : المرجع السابق ، ص ١٥ .
٢٢ـ شاكيد .جرشون : موجة جديدة فى الأدب العبرى (جل حاداش بسفروت هعفريت) ، دار نشر هيكبوتس هارتسى هتساعير ، تل أبيب، ١٩٧١ ، ص ١٢ .
٢٣ـ ميخالى .ب.ى : من مشاكل النثر الاسرائيلى الحديث (مبعيويتها شل هبروزا هيسرائيليت هحدشاه) ، موزنايم ، تل ابيب ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨.
٢٤ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ٦١ - ٧٠ .
٢٥ـ ابن عيزر . إهود : الحرب والحصار فى الأدب الاسرائيلى (ملحاماه وماتسور بسفروت هيسرائيليت) ١٩٦٧ -١٩٧٧ .
٢٦ـ ولد مرد خاى طبيب عام ١٩١٠ فى مستعمرة "ريشون لتسيون"، عمل بالزراعة والصناعة والبناء ، وخدم فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية وقد شغل منصبا رئيسيا فى مؤسسات اسرائيل الدفاعية والهيئة المركزية للهستدروت وبعد ذلك فى حزب الماباى كما عمل فى القسم العربى بالهستدروت وهو

مازال حيا حتى الآن يواصل الكتابة والأنتاج الأدبى . وقد نشرت أولى أعماله الأدبية فى صحيفة دفار ومجلة غتيم عام ١٩٤٧ .

٢٧ــ الشامى : المرجع السابق ، ص ٩ .

٢٨ــ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

٢٩ــ طبيب : مردخاى : طريق تراب (درخ شل عافار) ، دار نشر عوفيد ، الطبعة التاسعة ، ١٩٧٠ ، ص ٩ ــ ٥٦

٣٠ــ البريت : الختان ، بمعنى العهد وأحيانا يسمى الختان وذلك نظرا لأن الختان هو علاقة العهد بين الله وابراهيم (والشعب) ، وهى عادة قديمة جدا نقلها العبرانيون عن المصريين الذين كانوا يحملون ازدراء خاصا للشعوب التى لاتمارس الختان .

٣١ــ يزهار سميلانسكى : اسمه الأدبى س .يزهار (سامح يزهار) وهو كاتب إسرائيلى ينتمى إلى الجيل الأول من الأدباء ، ودرس فى قرية شمن للشباب وفى مدرسة رحوبوت القانونية ، وبيت همدراش بالقدس ثم عمل بالتدريس لفترة طويلة واشترك فى حرب ١٩٤٨ ، وكان عضوا بالكنيست عن حزب الماباى وبعد ذلك عن حزب رافى حتى يونيو ١٩٦٧ ، وقد تأثر الى حد كبير فى كتاباته باورى نيسان جنسين، ويوسف حاييم برنر .

٣٢ــ دوفشانى ، منشه : دروس فى الأدب العبرى والعام (شعوريم بسفروت عفريت فكلاليت) الجزء الرابع ، ص ١٨١ .

٣٣ــ نشرت هذه القصة عام ١٩٣٨ وكان عمره ١٩ عاما فى مجلة جليونوت وهى مجلة شهرية كان يرأس تحريرها اسحق لمدان .

٣٤ــ كيشت .ى : مشخيوت ، تل أبيب ، ١٩٥٣ ، ص ٢٤٠ .

٣٥ــ سميلانسكى .يزهار : سبع قصص (٧ سبوريم) ، دار نشر هكيبوتس همأوحاد ١٩٧٧ ، ص ٣٥ - ٨٨ .

٣٦ــ دوفشانى : المرجع السابق ، الجزء الثانى ٢٠٦ .

٣٧ــ سميلانسكى : المرجع السابق ، ص ٩١ - ١٠٨ .

٣٨ــ ميرون .دان : أربعة أوجه فى الأدب العبرى المعاصر (أربع بنيم بسفروت هعفريت بت يمينو) دار نشر شوكن ، القدس وتل أبيب ، ١٩٦٢ ، ص ٨٥ .

٣٩ــ كتب يزهار سميلانسكى ثلاث قصص أخرى عن الحرب وهذه

القصص هى "قبل الانطلاق" ١٩٤٨ ، و"قافلة منتصف الليل" ١٩٤٩ ، و"أيام تسكيلاج" ١٩٥٨ .

٤٠ــ ولد أهارون ميجد فى بولندا عام ١٩٢٠ ، وهاجر إلى فلسطين مع أسرته عام ١٩٢٦ ، ودرس فى مدرسة هرتسليا الثانوية بتل أبيب ، التحق بكيبوتس "سيدوت يم" وعمل فى ميناء حيفا وانضم الى حركة محنوت هاعوليم ثم ذهب فى بعثة الى أمريكا فى المدة من ١٩٤٦ - ١٩٤٨ . ترك الكيبوتس عام ١٩٥٠ حيث استقر فى تل أبيب ورأس تحرير صحيفة "فى الفجر" كما عمل بالترجمة واشترك مع عدد من أصدقائه فى اصدار المجلة الادبية ورأس تحريرها منذ نشأتها وحتى أصبحت ملحقا أدبيا لصحيفة لامرحاف . وفى عام ١٩٦٨ عين مستشارا ثقافيا لاسرائيل فى لندن .

٤١ــ بتسلئيل . اسحق : مع كتاب اسرائيل (عم سوفرى يسرائيل) ، دار نشر هكيبوتس هماوحد ، ١٩٦٩ ، ص ١٩٢ .

٤٢ــ دار المعارف اليهودية ، الجزء الحادى عشر ، ص ١٢٢١ .

٤٣ــ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

٤٤ــ أريخا . يوسف : قصص عربية من حياة العرب (سبوريم عفرييم هعفريم) تل أبيب ١٩٦٣ ، ص ٣٠٢ - ٣١١ .

٤٥ــ ولد موشيه شامير عام ١٩٢١ فى مدينة صفد ثم استقر بعد ذلك فى تل أبيب حيث درس فى مدرسة هرتسليا الثانوية ، وانضم الى منظمة هاشومير هتساعير ولعب دورا بارزا فيها ثم انضم إلى كيبوتس مشمار هعيمك عام ١٩٤١ . وفى عام ١٩٤٤ انضم الى سرايا الصاعقة وقد رأس شامير قسم الهجرة فى الوكالة اليهودية بلندن من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧١ حيث أصبح من أكثر المتطرفين اليمينيين وانتخب عضوا بالكنيست عن حزب ليكود اليمينى المتطرف بعد أن كان من الماركسيين المنادين بأخوة الشعوب وهو من بين الثمانية الذين صوتوا ضد اقتراح بيجن الخاص بالدخول فى مفاوضات سلام مع العرب . وأنشأ وحرر المجلات الأدبية دف حاداش ، وماسا . ورأس تحرير مجلة يمحنية التى كانت تصدر عن الهاجاناه ثم اصبحت الآن مجلة جيش الدفاع الاسرائيلى.

٤٦ــ دوفشانى : المرجع السابق ، الجــزء الثــانى ، ص ١٩٤٣ - ١٧٤ .
٤٧ــ ميخالى : المرجع السابق ، الأجزاء ٣-٧ ، ص ٢٦٤ .
٤٨ــ شامير .موشيه : الخشخاش المر (هخشخاش همر) من مجموعة تحت الشمس نشر سفريت بوعليم ، ١٩٥٨ .
٤٩ــ ولد ناتان شاحم عام ١٩٢٥ فى تل أبيب وخدم فــى البالمــاح (سرايا الصاعقة) ثم فى الجبهة الجنوبية اثناء حرب ١٩٤٨ ، وبعد ذلك أصبح عضوا فى كيبوتس بيت ألفا وله انتاجات أدبية كثــيرة فى مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة يصف من خلالــه حياة الكيبوتس وحرب التحرير .
٥٠ ــ شاحم . ناتان : تراب الطريق (أفاق هدراخيم) من مجموعــة حجر على فوهة البئر دار نشر سفريت بوعليم ، ١٩٥٦ .
٥١ ــ ولد عاموس عوز عام ١٩٢٩ فى القدس ، تعلم فــى مدرســة دينية ثم انتقل الى مدرسة عامة وعندما بلغ من العمــر ١٤ ســنة انتقل الى مستعمرة حولدا، ودرس فى الجامعة العبرية، ثم عمــل بالتدريس وهو من مؤسسى حركة همسود . وقد بــدأ "عــاموس عوز" وهو فى الصف الثانى والثالث كتابة المقالات الأدبية، ثم بدأ بعد ذلك يكتب القصص متأثرا بقراءاته لكتابات عجنــون فكــانت أولى قصصه ، قصة "شق مفتوح للريح" وهى عبارة عــن قصــة رمزية نشرت ضمن مجموعة كتب وتدل علــى أن كاتبــها قــرأ الحكايات (سيفر همحسيم) لعجنون .
٥٢ ــ يقول "عاموس عوز" فى هذا الصدد : "إن قصصــى ليست عــن حياة الكيبوتس كما يتصور البعض على الرغم مــن أن أحداثــها تدور فيها ، ولكن من يريد أن يعــرف وجهــة نظــرى بالنســبة للكيبوتس فعليه ان يقرأ مقالاتى عنها فى الصحف " . بتســلتيل : المرجع السابق ، ص ٨٩ .
٥٣ ــ برزيل . هليل : ستة كتب - ١٦ قصة (ششا مســريم - ١٦ سبوريم) دار نشر يحيدين احودموتسيئيم ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠٩ .
٥٤ ــ برزيل : نفس المرجع - ص ٢٠٩ .

٥٥ ــ برزيل : نفس المرجع – ص ٢٠٩ .
٥٦ ــ برزيل : نفس المرجع – ص ٢٠٩ .
٥٧ ــ ولد أشير باراش فى لوباتين بجاليسيا عام ١٨٨٩ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩١٤ حيث عمل بتدريس اللغة العبرية وآدابها. بدأ حياته الأدبية بكتابة عدة قصص شعرية ومجموعة قصصية بالييدش وتحول بعد ذلك إلى الكتابة باللغة العبرية . وقصصه تتناول واقع الحياة اليهودية فى جاليسيا ، وحياة مهاجرى الموجة الثانية فى فلسطين وتوفى فى تل أبيب. راجع دائرة المعارف العامه مسادا الجزء الثانى ، دار نشر الوموت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٠٦ .
٥٨ ــ شاكيد الأدب القصصى العبرى (١٨٨٠ – ١٩٧٠) ص ٣٤٢.
٥٩ ــ اريخا : المرجع السابق ، ص ١٢٤ – ١٢٦ .
٦٠ــ اريخا : نفس المرجع ، ص ١٢٦ – ١٢٨ .
٦١ــ ولد حاييم هزار عام ١٨٩٨ فى "سيدروفيس" وهى احدى قرى اقليم "كييف" التابع لاوكرانيا بروسيا، وغادرها عندما بلغ من العمر السادسة عشرة حيث تجول بين قرى روسيا من ١٩١٤ وحتى ١٩٢٠ . وانتقل الى القسطنطينية عام ١٩٢١ وبعد عام ونصف انتقل الى المانيا حيث كانت مركزا أدبيا عبريا بعد أن اضمحلت الحركة الأدبية العبرية فى روسيا ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٣١ واستقر بالقدس حتى وفاته عام ١٩٣١ .
٦٢ــ شالوم عليخم (١٨٥٩ – ١٩١٦) ، كاتب روائى يكتب بالعبرية والييدشيه .
٦٣ــ هزاز . حاييم : أبويوسف ، دار نشر عم عوفيد ، ١٩٦٣ .
٦٤ــ ولد يوسف اريخا عام ١٩٠٧ فى أولفسك بأوكرانيا ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٥ وعاش فيها حتى عام ١٩٢٩ حيث رحل الى امريكا واستمر هناك حتى عام ١٩٢٢ ، ثم عاد الى تل ابيب مرة أخرى ورأس بلديتها حتى توفى عام ١٩٧٢ .
٦٥ــ اريخا :المرجع السابق ، ص ٢١٦ – ٢٢٠ .
٦٦ــ اريخا : نفس المرجع ، ص ٢٢٤ – ٢٣٠ . .

٦٧ـ كاتب يهودى ولد فى فيلنا عام ١٩٠٨ ، وانتقل الى فلسطين عام ١٩٢٥ ومنذ ذلك الوقت وهو يكتب أعماله عن الحياة فى فلسطين ومن أهم أعماله مجموعة قصصية بعنوان فى "طريق الأحزان" ١٩٣١ .

٦٨ـ اريخا : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

٦٩ـ ولد اسحق أوربان فى روسيا عن ١٩٢٣ ، وهاجر الى فلسطين ضمن هجرة الشباب عام ١٩٣٨. كان عضو إحدى المستعمرات الصهيونية ، عمل فى مجالى الزراعة والتدريس كما عمل بأحد المناجم وكذلك فى صناعة الماس وخدم ضابطا بالجيش النظامى ، بدأ فى نشر قصصه عام ١٩٥١ . راجع ، أورباز ، اسحق : مدينة لايوجد فيها مخبأ (عيرشاين باه ماتسور) مجموعة قصصية ، دار هكيبوتس همأ وحاد ١٩٧٣ ، ص ٥ .

٧٠ـ برزيل .هليل : كتاب ومايتفردون به دار نشر يحيدين ، أحود موتسئيم، ص٢٨٧ –٣١٣ .

٧١ـ اريخا : المرجع السابق ، ص ٣٣٦ – ٣٤١ .

الباب الثانى
الشخصية العربية الفلسطينية من خلال نماذج القصة الاسرائيلية القصيرة
(١٩٤٨ - ١٩٦٧)

الفصل الأول
صورة الشخصية العربية الفلسطينية
فى القصة الاسرائيلية القصيرة
(١٩٤٨ - ١٩٦٧)

تحتوى المجتمعات العربية بصفة عامة على ثلاث أنماط رئيسية من البشر ، يتميز كل نمط منها بخصائص اجتماعية ونفسية واقتصادية معينة رغم وجود بعض التداخل بينها : كثرة غالبية تقطن فى الريف وتشتغل بالزراعة ، وقلة قوية متزايدة فى العدد والنسبة تسكن المدن وفيها يتركز معظم النشاط السياسى والاقتصادى والثقافى، وهى الفئة التى تتعرض أكثر من غيرها للمؤثرات الخارجية ، ثم قلة أخرى متناقصة فى العدد والنسبة من "البدو الرحل" الذين يتنقلون وراء المطر للرعى ، وتحكمهم معايير القبيلة والتقاليد أكثر من خضوعهم للقوانين المكتوبة(١).

ولذلك فإن تناول الشخصية العربية فى أى مجتمع عربى يجب أن يشمل الشخصية الريفية ، والشخصية الحضرية ، والشخصية البدوية، ولكننا هنا ونحن بصدد دراسة الشخصية العربية الفلسطينية فى القصة الإسرائيلية القصيرة (١٩٤٨-١٩٦٧) سنلاحظ أن النماذج الأدبية اقتصرت على تناول شخصيتى الفلاح والبدوى ويبدو أن الأدباء الاسرائيلين قد عمدوا إلى تجاهل الشخصية الحضرية فى المجتمع الفلسطينى عند تناولهم للشخصية العربية الفلسطينية فى كتاباتهم بصفة عامة بهدف تحقير وتغييب هذه الشخصية بالرغم من أنها كانت تمثل ٣١,٥ % من عرب فلسطين .

وقد نالت دراسة الشخصية بصفة عامة اهتمام الكثيرين من علماء النفس من أجل وضع نظرية لها تقوم بتفسير سلوك الانسان فى إطار منطقى منظم(٢). ووضع هؤلاء العلماء تفسيرات متعددة تحاول كل منها تحديد طبيعة الشخصية فى ضوء التصورات والأسس التى تقوم عليها كل نظرية أو يقوم عليها كل تفسير ، وقد تتفق هذه التفسيرات أو تختلف مع بعضها بدرجة أو بأخرى وبالتالى فليس هناك تعريف

واحد يعتبر هو الصحيح والباقى تعريفات خاطئة فكل تعريف يستند إلى تصور نظرى معين(١٣).

ومن الطبيعى أن يختلف علماء النفس فى وضع مفهوم ثابت ومحدد لما يسمى بالشخصية على مستوى الفرد لأنه من الصعب أن يتم العثور على مقياس واحد يمكن تطبيقه على شخص ما أوعلى عدة أشخاص وذلك لأن العلوم الانسانية والاجتماعية علوم جدلية أكثر منها علمية أو رياضية فمن الصعب أن تتفق استجابة عدة أشخاص لموقف واحد يتعرضون له بينما تتفق نتيجة التفاعلات الكيميائية - إذا ثبتت متغيرات التجربة المعملية وكذلك لاشك فى أن تعطى مسائل الحساب نفس النتائج إذا أجرينا عمليات حسابية بعينها .

وإذا كان أمر وضع نظرية تتعلق بالشخصية على المستوى الفردى الشخصى ــ أمر صعب فإن وضع نظرية لتعريف شخصية شعب أو أمة ما أمر صعب ، ونحن نقصد هنا بشخصية الشعب أو الأمة مايسمى بالشخصية القومية(٤) والتى تعنى دراسة أكثر سمات الشخصية شيوعا فى أى مجتمع للوصول إلى صورة مؤلفة من هذه السمات ، أى أن هذا المصطلح يستخدم لوصف السمات النفسية والاجتماعية والحضارية لأمة ماتتسم بثبات نسبى والتى يمكن عن طريقها التمييز بين هذه الأمة وغيرها من الأمم .

ودراسة الشخصية القومية العربية تعنى دراسة وجهة النظر الاسرائيلية تجاه هذه الشخصية أى أنها تعنى وجهة نظر الغير التى تهدف إلى تشكيك العربى فى قدراته وتشويه صورته .

ومن الجدير بالذكر أن هناك دراسة سابقة لدراستنا قام بها الأستاذ "السيد يس" بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام تحت عنوان "الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والمفهوم العربى"(٥)، واعتمدت هذه الدراسة على مادة مجموعة من المؤلفات والكتابات العربية والاسرائيلية ــ خضعت للتحليل النقدى بهدف الوصول إلى نتائج محددة بشأن القضايا التى رأى الباحث أنها كانت المحاور الرئيسية التى دار حولها التحليل الاجتماعى للصراع العربى الاسرائيلى . ويهمنا من هذه الدراسة أن نشير إلى ماتوصلت إليه من

تحديد صورة الشخصية العربية فى المفهوم الإسرائيلى من خلال الكتابات الاسرائيلية .

لقد أشارت الدراسة فى مجملها إلى أنه لايوجد مفهوم إسرائيلى واحد للشخصية العربية ولكن هناك مفاهيم ثلاثة رئيسية وهى : تصور الصفوة الاسرائيلية (التقليدية والمعاصرة) للعرب ، تصور العلماء الاسرائيلين ، وتصور الرأى العام الإسرائيلى .

وبالنسبة لتصور الصفوة الاسرائيلية التقليدية فهناك ثلاث صور لهذا التصور :

الصورة الأولى :

تسمى باسم "البوبرية" نسبة إلى "مارتن بوبر" وتعترف بالنظرة المعتدلة للعرب على أساس أنها تعترف بالظلم التاريخى الذى وقع عليهم ، والذى تمثل فى طردهم من ديارهم بزعم أن شعبا بلا أرض قد وجد أرضا بلا شعب . ويدعون إلى التعايش على أساس أنه لايوجد حق كامل للفلسطينين فى التراب الفلسطينى وأصحاب هذا الاتجاه يؤمنون بصواب الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية ، وقد انتهى هذا الاتجاه ولا يعبر إلا عن لحظة تاريخية من لحظات الوعى اليهودى .

الصورة الثانية :

وتسمى باسم "البنجريونية" نسبة إلى "بن جوريون" ، وتركز على أن العرب لايعرفون سوى لغة القوة والردع ، وهذه الصورة لاتعكس صورة هذا الفريق من الصفوة التقليدية الاسرائيلية فحسب ، ولكنها تعكس أيضا عدوانية المشروع الصهيونى نفسه والأساس الإرهابى ةالتوسعى الذى يقوم عليه .

الصورة الثالثة :

وتسمى باسم الوايزمانية وهى لاتقل فى اتجاهها العدوانى إزاء العرب عن الصورة البنجريونية .

أما الصفوة الإسرائيلية المعاصرة فترى أن الشخصية العربية تتسم بعدوانية أصيلة وتحب الصراع والحرب وترجع هذه العدوانية إلى الإسلام الذى نادى بسمو المسلمين على غيرهم بالاضافة إلى النظر

إليه على أنه دين نزعة حربية ، كما ترى هذه الصفوة أن الشخصية العربية تتسم بالانفعالية التى ترد إلى الضعف الحضارى ، وأنها تعانى من أزمة هوية أدت إلى شعورها بالإحباط . أى أنها ترى عقلانية الإسرائيلى مقابل انفعالية العربى ، وتقدم الإسرائيلى مقابل تخلف العربى ، وواقعية الاسرائيلى مقابل الأوهام التى يعيش فيها العربى .

ويرى العلماء الإسرائيليون أن الشخصية العربية تتسم بالجمود والتصلب ، وغير قادرة على تجاوز سلبياتها العديدة نتيجة سمات غريزية تتسم بها .

أما بالنسبة لمفهوم الرأى العام الاسرائيلى عن الشخصية العربية فقد أشارت الدراسة إلى أن اليهود لم يعنوا كثيرا بالتفكير فى مشاكل العرب وشعروا. تجاههم باللامبالاة التى تفوق رسوخها الشعور بالشك فيهم ، كما أن معظمهم يؤيد سياسات الحكومة الاسرائيلية الخاصة بفرض القيود العنيفة على العرب بزعم أن اعتبارات أمن إسرائيل لها الأولوية على حقوق العرب الانسانية ومن ناحية أخرى ينكرون حقوق اللاجئين الفلسطينين . وبصفة عامة ، فإن العرب يتسمون فى نظر الغالبية العظمى من الإسرائيليين بأنهم كسالى ، وأغبياء، وتملؤهم مشاعر الحقد تجاه اسرائيل ، وهم قساة وخونة وجبناء .

وقد انتهى الباحث إلى تكوين صورة مركبة للعرب على ضوء المفاهيم الثلاثة وهى "أن العرب لايفهمون سوى لغة القوة، ولذلك فاتباع سياسة الردع والعنف معهم هو الأسلوب الأمثل . وهم قوم فرديون مفككون ، يميلون إلى الكذب والمبالغة وخداع الذات . وهم بالمقارنة بالإسرائيليين كسالى ، وجبناء ، وخونة ، ومستوى ذكاؤهم منخفض وعلى الجملة هم أدنى من الإسرائيليين".

وإذا كانت هذه هى صورة.الشخصية العربية فى المفهوم الإسرائيلى ، فإننا نرى حقيقة أنها لاتختلف عن صورة الشخصية العربية الفلسطينية فى الفكر الصهيونى فى بداية القرن . فلم تكن الشخصية العربية حتى عام ١٩٤٨ تميز فى الفكر الصهيونى على أنها شخصية عربية فلسطينية ، وانما كانت تميز على أنها شخصية

عربية فحسب، وذلك على أساس أن السكان الاصليين لفلسطين كانوا يسمون عربا سواء فى المؤلفات ذات الطابع النظرى ، أو فى اليوميات الاستيطانية أو الروايات أو المراسلات الدبلوماسية وذلك يرجع لسببن : إما لكون العرب كانوا كتلة بشرية واحدة تتوزع عبر تقسيمات ادارية وليس عبر تقسيمات سياسية إقليمية يشكل كل منها دولة كما هو الآن[٦]، أو أن ذلك فكر صهيونى مخطط يهدف إلى نزع اسم الشعب العربى صاحب الحق فى هذه البلاد وهو الشعب الفلسطينى . ونحن نرجح السبب الثانى لأنه عندما كانت الشعوب العربية موزعة عبر تقسيمات إدارية كان كل شعب يسمى باسمه ، ولكن اليهود عمدوا إلى نزع الهوية الفلسطينية عن عرب فلسطين حتى يمهدوا لفكرتهم "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" وكانت صورة العربى الفلسطينى فى الفكر الصهيونى هى صورة البدوى الهمجى الجاهل . وقد كتب أحاد هاعام[٨] ١٨٩١ يقول "العرب رجال صحراء ، أناس جهلة لايرون ولايفهمون ما يجرى حولهم" ، ثم تطورت صورة العربى الفلسطينى من بدوى إلى فلاح وذلك نتيجة للاصطدام الصهيونى بالواقع فى فلسطين، وحيث اعتقد الصهاينة أنهم فى موقع أخلاقى وحضارى لايقاس بالعربى الفلسطينى . ولذلك فقد صورت على أنه أقرب إلى المتسول من أى شىء آخر ، وأنه متخلف، ومنحط ، وتلتصق به كل صفة سيئة وكل عادة ذميمة ، كما أنه لص وقذر وبالتالى فإنه ليس جديرا بامتلاك الأرض .

وقد أضيفت صفات أخرى للعربى الفلسطينى بعد تنفيذ وعد بلفور وظهور الفلسطينى المقاتل من أجل حقوقه المشروعة حيث وصف بأنه إرهابى وجبان ومتوحش ومثير للرعب ، وأنه لايقوم بعملياته العدوانية إلا فى الليل، أما فى النهار فإنه يرتدى لباس المسكنة والضعة[٩]حيث يقول "أحادها عام" : إن المستوطنين الصهاينة يعتقدون أن العرب جميعا متوحشون ، يعيشون مثل الحيوانات ولايفهمون مايدور من حولهم[١٠].

ولم يقف المفكرون الصهاينة عند هذا الحد بل تمادوا فى تشويه

صورة العربى (بما فى ذلك الفلسطينى) وتحقيرها ، فهو محتقر ومزدرىولايمكن أخذه مأخذ الجد ، ولديه تراث عريق من شهادة الزور ، وتراث أعرق من القتل والاجرام صار طبيعة ثابتة فيه ، وأسلوب شيطانى من التخلف والغدر حيث يقول ج كوهين :

"إن العربى مجرد مخلوق غريب ، يرتدى جلبابا ممزقا ، وغطاءً قذرا للرأس وتلتف زوجته بثوب أبيض ، ويسير أطفاله حفاة وليس من مجال الخطأ تحديد هويته فكل شىء يتعلق به ، ماديا كان أم معنويا ينطق بصفاته إنه ليس قذرا فحسب ، بل هو أيضا لص ، كذوب ، وكسول ، وعدوانى"(١١).

ولعل اصرار المفكرين الصهاينة على تشويه صورة العربى الفلسطينى كان بهدف نزع صفة الآدمية عنه حتى يبرروا لأنفسهم معاملته بقسوة واضطهاده وطرده من أرضه . وهكذا يتضح مدى التطابق الموجود بين صورة المفهوم الاسرائيلى باتجاهاته ، وصورة الفكر الصهيونى عن الشخصية العربية الفلسطينية كما سيتضح بعد ذلك من دراستنا مدى شيوع هذه الصور فى الأدب النثرى الاسرائيلى (١٩٤٨ - ١٩٦٧). ودراستنا تعنى بدراسة الشخصية العربية الفلسطينية ، وهى شخصية قومية إلا أنها لاتدخل فى إطار مايعنيه مصطلح الشخصية القومية فى مجال الدراسات النفسية والأنثروبولوجية . إن دراستنا تدور أساسا حول إيضاح صورة الشخصية العربية الفلسطينية كما يراها الأدباء الإسرائيليون (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) وذلك من خلال النماذج الأدبية المختارة من حيث السمات الخارجية (الصفات الجسدية والملابس) وكذلك الطبائع والقيم الدينية ، كما أنها ستمتد لتبرز كيف صور الأدباء الإسرائيليون الطبيعة والأعمال التى يقوم بها العرب وكذلك أسلوب معاملة السلطات الإسرائيلية للعرب ، وحالة العرب فى ظل السيطرة الإسرائيلية من خلال النماذج الأدبية المختارة أيضا ، وذلك على أساس أن الأدب هو أحد الأدوات الهامة التى يمكن عن طريقها تحديد ملامح الشخصية نظرا لأنه يتفاعل معها ، ويعبر عنها ، ويرصد أبعادها ، ويعكس انفعالاتها . إن الأدباء يعايشون المجتمعات كجزء منها ينفعلون بقضايا

واقعها ، ويعبرون عنها من خلال رؤيتهم الأدبية سواء كانت الرؤية معبرة عن خيال أدبى للأديب ، وعن عمقه الفنى فى التعبير عن الواقع الذى يعايشه ويحتك به ، أو كانت رؤيته موجهة من قبل من لهم الهيمنة والسيطرة على المجتمع بفرض غرس مفاهيم معينة لتحقيق أهداف سياسية محددة .

وأود أن أشير إلى أن هناك دراسة أدبية سابقة قامت بها "ريزا دومب" بعنوان "العرب فى الأدب العبرى النثرى" (١٩١١ــ ١٩٤٨)(١٢) واعتمدت هذه الدراسة على ثمانية نماذج أدبية ولسبعة من الأدباء الاسرائيليين ــ خضعت للتحليل بهدف تفهم الشخصية العربية الفلسطينية فى المجتمع الفلسطينى. ومن هذه الدراسة يمكن أن نلمس حقيقة أن صورة الشخصية العربية الفلسطينية سواء كانت فى المفهوم الاسرائيلى أو الفكر الصهيونى لاتختلف عنها فى الانتاجات الأدبية النثرية التى ظهرت فى بداية هذا القرن .

فعلى سبيل المثال ــ وليس الحصر ــ يذكر "موشيه سميلانسكى" المشهور بالخواجا موسى (١٨٧٤ ــ ١٩٥٣) فى سيرته الشخصية أنه عندما قابل العرب لأول مرة فى طريقه من "يافا" إلى مستعمرة "ريشون لتسيون" كان غير مرتاح ، وشعر بالقلق ، والغضب ، وذهل عندما وجدهم هناك حيث يقول :

"ماذا يفعل هؤلاء العرب هنا ؟ لماذا هم فقراء ، وقذرون بينما الأرض حول قريتهم جيدة وخصبة ... انهم همجيون يكونون سعداء ويعيشون فى سلام عندما يستقرون ، ولكن عندما يثورون يصبحون قتلة . يقتسمون خبزهم التافه مع الشخص الجائع الفقير، ولكنهم يرتكبون القتل من أجل الشىء الذى يريدونه ولايستطيعون تحقيقه(١٣).

وهنا يريد "موشيه سميلانسكى" توضيح أن العرب غير جديرين بملكية الأرض ولابزراعتها ويصف شخصية "عبدالله بن الشيخ" العجوز فى قصة "عائشة" فيقول :

"شخص صغير ، ودميم ، وروحه شريرة مليئة بالغيرة والكراهية، وانفعالاته العاطفية مبتذلة . إن "عبدالله" يلهث وراء النقود ويحسبها ،

ولايمكن أن يكون محل ثقة ، ولايصون كلمته أبدا . انه يصون فقط الكراهية تجاه أى شخص يقف فى طريقه[١٤].

ويصف اسحق شامى (١٨٨٩ ــ ١٩٤٩) العربى فى قصة "انتقام البطاركة" بالعنف حيث يقول : "بدأ يدمر فى بطء زراير صدريته ، وينزع الكوفية من حول عنقه البدين الذى اختفى تحت قفطانه ــ فظهر صدره الأسود اللون ، وكان شعره الأسود طويلا، خشنا ومنتفشا ... وحينئذ حول جسمه العريض تجاه الباب المؤدى إلى الرواق"

كما يصف البدو فيقول :

"جفاف الصحراء ، ووهج الشمس يمكن أن يرى فى سمرتهم ووجوههم المتجعدة وحدتهم وأنوفهم الخطافية تبرز من بين أغطية الرؤوس الملونة مثل مناقير الطيور الحادة ، وعيونهم متوهجة وكأنها كانت فى النار"

وهنا نجد أن "شامى" لم يختلف كثيرا عن "موشيه سميلانسكى" فى وصفه للعرب وفى هذا الصدد تقول "ريزا دومب" :

"إن الصفات التى وصف بها سميلانسكى العرب فى قصصه القصيرة تشبه تلك الصفات التى وصف بها " شامى" أبطاله : إن طباعهم الحادة ، وغضبهم السريع وصراعهم من أجل الانتقام ، وصيانتهم لشرفهم ــ هى الصفات السائدة للخصائص المتغيرة فى كلا الحالتين حتى وإن اختلف فكر الادباء ازاء الأسباب والحالة التى أدت بهم إلى ذلك " .

وإذا كان " موشيه سميلانسكى " يصف العرب بأنهم همجيون، وقذرون ، ووصفهم " شامى" بالعنف وحدة الطباع ــ فإن اسرائيل زراحى (١٩٠٩ ــ ١٩٤٢) يصفهم بأنهم عديمو الشفقة ولاتوجد رحمة فى قلوبهم حيث يصف عرب احدى القرى العربية أثناء المعارك التى دارت بين الأتراك والقوات البريطانية فيقول فى قصته " قرية السلوان " :

"عرب القرى يدخلون بين النيران ، ليجردوا القتلى ، ويسرقون الجثث ، ويقطعون الأصبع الذى به خاتم ، أو يأخذون السنة الذهبية

من الفم[١٥] أى انه يريد أن يصور الشخصية الفلسطينية بأنها شخصية بشعة تتصف بالاجرام واللصوصية .
وهكذا نرى أن الشخصية العربية الفلسطينية سواء فـــى المفـــهوم الإسرائيلى أو الفكر الصهيونى ، أو الأدب النثرى العبرى فى بدايـــة هذا القرن هى شخصية البدوى أو الفلاح ، الجاهل ، المنحط ، القذر ، المتوحش ، الذى تلتصق به كل صفة سيئة ، وكل عادة ذميمـــة ، وأن شخصيته هى شخصية الإرهابى الذى يثير الرعب والفزع .
وفى الحقيقة ، أن هذه الصفات لاتعكس صدقا أدبيـــا نابعـــا مـــن الأدباء عند تصويرهم للشخصية العربية الفلسطينية ، ولكنها تعكـــس فكرا صهيونيا موجها يهدف أساسا إلى تشويه صورة هذه الشـــخصية وتغييبها بهدف تحقيرها من ناحية واظهار تفوق الشخصية اليهوديـــة من ناحية أخرى ، والدليل على ذلك هو شيوع نفس الأوصاف التـــى كانت سائدة فى الفكر الصهيونى ، والأدب الاسرائيلى النـــثرى قبـــل ١٩٤٨ وفى المفهوم الاسرائيلى والقصة الاسرائيلية القصـــيرة (٤٨ – ٦٧) كما يتضح من تحليل صورة الشخصية العربية الفلسطينية كمـــا تناولها الأدباء الإسرائيليون ، وأقصد بتحليل صورة الشخصية العربية الفلسطينية ابراز أكثر الصفات التى تناولها الأدباء ، وركزوا عليـــها فى وصفهم للعربى الفلسطينى ، والتى ألحوا فى تكرارها أكـــثر مـــن مرة .

المبحث الأول
السمات الخارجية

إن السمات الخارجية لأية شخصية تعطى انطباعا خاصا عن هـذه الشخصية، بل ربما تذهب إلـى أبعـد مـن ذلـك وتعكس بعض الانطباعات الداخلية والمشاعر النفسية لها . ولما كانت الشخصية العربية الفلسطينية من الموضوعات التى تناولها الأدباء الإسرائيليون فى كتاباتهم كان من الطبيعى أن تحظى السمات الخارجية لهذه الشخصية باهتمام هؤلاء الأدباء . ولذلك فقد حرصت أثناء دراستى للنماذج الأدبية المختارة على إبراز هذه السمات، وتحليلها من خلال صفاتهم الجسدية وملابسهم:

أولاً : الصفات الجسدية

كانت الصفات الجسدية للشخصية العربية الفلسطينية من الجوانب التى حظيت باهتمام الأدباء الإسرائيليين حيث كانوا يحرصون باستمرار على نقل ملامح الشخصية العربية الفلسطينية من حيث الصفات العامة فى تكوينها الجسدى بكافة تفاصيلها . ومن هنا كان حرصنا على تحليل هذا الجانب لنبين كيف يرى الأدباء الإسرائيليون الشخصية العربية الفلسطينية من هذه الناحية وذلك من خلال خمس نقاط :

أ ـ الوجه

نال وجه العربى الفلسطينى اهتمام الأدباء الإسرائيليين من حيث الوصف ، وشاعت عنه الأوصاف التالية فى كتاباتهم الأدبية :

١ـ الشحوب والصفرة :

حيث يصف "س يزهار" ـ فى قصة "خربة خزعة" ـ الرجل الذى خرج فجأة من باب أحد الأسوار الطينية بعد أن تصور أن الجنود الإسرائيليين قد ابتعدوا عن المكان ، ولكنه فوجىء بهم أمامه وعندما حاول الفرار أطلقوا النيران فوق رأسه حتى توقف فيقول :

"كانت ملامح وجهه فارغة من دمها ليس إلى حد الشحوب وانما اليرقان والصفرة المخجلة"

وهذا الوصف ملائم للموقف لأن خروج الرجل من باب أحد

الأسوار بعد أن اطمأن إلى أن الجنود الإسرائيليين قد ابتعدوا عن المكان ثم مفاجأته بوجودهم أمامه أدى به إلى أن يفقد السيطرة على نفسه وأن يتجمد الدم فى عروقه . كما أن يزهار يستخدم هذا الوصف ليعبر به عن مدى الرعب الذى انتاب العربى من جراء سلوك الجنود الإسرائيليين .

أما "عاموس عوز" فيصف البدوى ــ فى قصة "البدو الرحل والثعبان" عندما كان واقفا يراقب "جئولا" من بين أشجار وهى تثبت زرار القميص العلوى فيقول :

"أغلق البدوى عينه المفتوحة ، ورفع وجهه ، وغمز بعينه المراقبة. كان وجهه شاحبا ، وتنتشر الشقوق الطبيعية فى خديه"

وهنا استخدم "عاموس عوز" هذا الوصف ليعزز به وجهة نظره وهى أن البدوى يقوم بعمل غير شرعى بقيامه بالرعى فى المناطق الزراعية ، ولذلك فأنه وصف وجهه بالشحوب على أساس أن هذا الشحوب يعكس خوفه من أن يراه أحد من سكان الكيبوتس ويلحق به الأذى أى أن الراعى نفسه يعرف أنه ليس له الحق فيما يفعله .

٢ــ البلاهة :

حيث يصف اسحق أورباز فى قصته "على سن الطلقة" "ابراهيم" وهو يجلس بجواره تحت شجرة الجميز ، ويحكى له عن ذكرياته ، وعن أن أباه يحكى له دائما عن هذه الشجرة وكذلك جده فيقول :

"وضعت السلاح بجانبى ، ومضغ إبراهيم تبغا ، وكان وجهه جامدا يعبر عن البلاهة " .

وهذا الوصف يعبر عن الحالة النفسية لإبراهيم الذى كان مذهولا مما حدث له حيث وقع أسيرا ، ولم يتمكن من تحقيق هدفه ، وأصبح مشلولا عاجزا عن التفكير فبدا كالأبله الذى لا حول له ولا قوة .

٣- الصلابة :

حيث يصف "حاييم هزاز" أبو يوسف فى قصته "أبو يوسف" وهو يتحرك فى فناء السجن فيقول : "كان طويل القامة" ومقوس الظهر ، ووجهه ككتلة من الأرض فى وقت الجفاف"

واستخدم الكاتب هذا الوصف ليكون مناسبا للعمل الذى يقوم به

"ابو يوسف" فهو يعمل ضمن أفراد الحراسة بالسجن ، وعادة ما يتميز وجوه الحراس بالجمود والصلابة .

أما "يوسف أريخا" فيصف الراعى ـ فى قصته "الرسام والراعى" عندما مر على الرسام وهو ينظر اليه بتعجب كبير قائلا : "كان واضحا أن الراعى ينظر إلى الرسام بتعجب كبير ، وعندما لوح بيده ـ كانت القشعريرة تغطي وجهه الصلب" وصلابة الوجه هنا تعكس ضيق الراعى من وجود الرسام وقلقه على الأرض التى يرعى فيها وخوفه من أن يتم الاستيلاء عليها.

ب ـ الابتسامة :

حظيت أيضا ابتسامة الشخصية العربية الفلسطينية بوصف الأدباء الإسرائيليين فى كتاباتهم القصصية على أساس أنها تعبر عن الانفعالات الداخلية للإنسان رغم اختلاف هدف كل كاتب من وصفه لها ، بل نجد أن الكاتب الواحد يستخدم الابتسامة في القصة الواحدة لأكثر من هدف . وعلى أى حال فقد صورت على النحو التالى :

١ـ السخافة والغباء والمكر :

حيث يصف "س . يزهار" ـ فى قصته "خربة خزعة " ـ أحد العرب الذين جمعوهم فى العربة الجيب ليأخذوهم بعيدا عن القرية للتحقيق معهم فيقول :

"كان العربى الذى فى الجيب ينحنى مستسلما ، وهو لا يزال يحاول إخفاء آلام معدته بابتسامة اعتذار شاحبة سخيفة" وهنا يعبر "يزهار"عن مدى الألم الذى ألم بالعربى وحالة التوتر التى كانت تنتابه فقد كان العربى يحس بآلام عنيفة فى معدته ، وفى نفس الوقت يرتجف من الرعب ونظرا لأنه لم يستطع التعبير عن كل ذلك فإنه كان يبتسم هذه الابتسامة التى تعكس كل ما يلم به .

أما "يوسف أريخا" فيصور ابتسامة الراعى ـ فى قصته "الرسام والراعى" ـ عندما مر على الرسام ونظر اليه فى تعجب وشك فيما يفعله ، وخوفا من أن يكون مثل الذين سبقوه وجاء يخطط ليستولى على المكان بعد ذلك ـ قائلا :

"وبدت على شفتيه ابتسامة رقيقة وماكرة ... حملق فيه الراعى

بعينيه السوداوين وكانتا تشعان بريقا قاتلا فى نفس اللحظة ، وبــــدت على وجه الأسير ابتسامة باهته مريبة مليئة بالوهم والشر"

وإذا كان "يزهار" قد استخدم الابتسامة كمرآة لتعكس له مـــا ألــم بالعربى من آلام وتوتر فإن "أريخا" قد استخدمها فى قصته "الرســـام والراعى" لتعكس قلق الراعى العربى على أرضه التى يرعـــى فيــها وخوفه من أن يكون ما يحدث هو تمـــهيد للاســـتيلاء عليـــها . كمــا استخدمها فى قصته "منظر ليلة" عندما وصف رئيس العصابة وهــــو يحقق مع جلعادى قائلا : "أظهر أبو يوسف ابتسامة ملتوية من تحــت شاربة ، نظر اليه فى خلسة كمهتم بالموضوع" ليعبر بها عن حنكـــة رئيس العصابة ومحاولته جمع المعلومات من جلعادى .

وفى قصته "البدوالرحل والثعبان" يصف "عاموس عوز" ابتســامة البدوى عندما كان يقف مع "جئولا" بين الحدائق يتحدث معها بعــد أن أشعلت له السيجارة ــ قائلا : "رد الرجل ببسمة مضطربـــة وكأنــه ضبط متلبسا بجريمته وانسحب إلى الخلف بخطوة هزيلة" .

وهنا نجد أن "عـــاموس عـــوز" قــد وصــف ابتســامة البــدوى بالاضطراب لتعكس خجله من "جئولا" بنت الكيبوتس لأنه لم يتعـــود على الوقوف مع مثيلاتها من قبل .

٢ــ الصوت المرتفع والحقارة :

حيث يصف "يوسف أريخا" ابتسامة "ابو يوسف" رئيس العصابـــة فى قصته "منظر ليلة" عندما نظر إلى صورة بنت "أهارون جلعـــادى" بعد أن امر بتفتيش أوراقه قائلا : "وفجأة جعل فى يده صورة البنـــت السمراء ، واللذة الباسمة على الوجـــه الملـــئ بالحنـــان ، والـــرأس المجعدة السوداء ، وظهر وجهه رقيقا وعجيبا، وفجأة صهلل بضحكـــة عالية" .

والوصف هنا يعبر عن سعادة رئيس العصابة بالصورة التى رآهــا (صورة ابنة "أهارون جلعادى" ، التى بعثت السعادة فى نفســه نظـــرا لأنها تشبه صورة ابنته) .

واستخدم "ناتان شاحم" نفس الوصف فى قصة "تـــراب الطـــرق" عندما وصف الشباب العرب وهم يجرون وراء عربة كفتورفيتس التى

تحمل المربى ويلعقون ما يسيل منها على فوهات البراميل فقال : "الآن ، اعتقد أنهم أدمنوا اللعبة بلا عداء أحاطوا به ، وتعلقوا بضارى العربة البارز من الخلف ، وهم يموتون على أنفسهم من صهللة الضحك" .

والهدف من الوصف هنا هو نفس الهدف الذى كان يرمى إليه "أريخا" فإذا كان "أريخا" قد وصفها بالصوت المرتفع ليعبر عن سعادة رئيس العصابة بالصورة فإن " شاحم" قد استخدم نفس الوصف ليعبر عن سعادة العرب وهم يلحسون البراميل دون خوف .

ومع ذلك نجد أن " شاحم" وصفها مرة أخرى فى نفس القصة بالحقارة عندما صور الشباب العرب الذين تجمعوا حول عربة كفتوروفيتس بعد أن ضرب بالسوط أحد الذين كانوا يتعلقون بالعربة فقال : " تجاهلهم كفتوروفيتس فقفزوا من مكانهم فى آخر لحظة ونظروا اليهم بنظرة عداء من خلال ضحكة حقيرة " .

والوصف هنا يعبر عن الحقد الذى حاق بالعرب عندما ضربهم كفتوروفيتس بالسوط .

أما "عاموس عوز" فيصف الابتسامة فى قصته "البدو الرحل والثعبان" بعدم المبالاة وذلك عندما صور البدوى وهو نائم بين قطيعة قائلا :

"ستعجب وهو يخرج بسرعة من داخل ردائه الداخلى ولاعة ذهبية ويشعلها لك بسرعة ، والابتسامة التى على شفتيه ليست حقيقية ، إنها ضحكة متواصلة لا مبالاة فيها" والوصف هنا يعبر عن مدى الاستهتار عند البدوى الذى أدى بعد ذلك إلى انتهاكه للأراضى الزراعية والرعى فيها.

جـ ـ العينان :

إذا كان وجه وابتسامة العربى الفلسطينى قد نالا اهتمام الأدباء الإسرائيليين بالوصف عند تناولهم للشخصية العربية الفلسطينية فإن عينى هذه الشخصية قد حظيتا بنصيب أكبر من الوصف حيث شاعت عنها الأوصاف التالية :

١ــ متعبتان ومتقلصتان :

حيث يصف " ناتان شاحم" فى قصة "تراب الطرق" العربى الذى جرى وراء عربة كفتوروفتيس المحملة بالمربى وسقط تحتها قائلا :

"شاب واحد فقط ، وجهه صغير ، وعيناه صغيرتان ... لم يذهل كفتوروفتيس ، قفز من العربة ورفع الولد الذى كان يصرخ بين يديه . كان وجهه ضاربا إلى الحمرة ، وعيناه ضامرتان"

والوصف هنا مناسب لحالة الشاب الذى سقط تحت العربة وكان يصرخ ويبكى من شدة الألم ، لأنه من الطبيعى أن تكون عيناه مغرورقتان بالدموع وضامرتان من شدة البكاء .

أما أشر براش فيصف عيون العرب بأنها دائما ملتهبة حيث يقول فى قصة "صفية المسيحية" :

"كان أولادها الخمسة أولاد عرب بكل تفاصيلهم : الملابس القطنية القذرة ، والشعر على مقدمة الرأس ، وربما كان يوجد دائما التهاب العينين المزمن" .

والوصف هنا يعكس حالة الإهمال التى يعيش فى ظلها العرب ، وعدم تمتعهم بالرعاية الصحية الكاملة لدرجة أن التهاب العينين أصبح سمة واضحة من سمات عيونهم .

والذى يؤكد ذلك اننا نجد أن هناك أدباء أخرين يصفون عيون العرب بنفس هذه الصفة : "فاسحق أورباز" يصف ــ فى قصة على سن الطلقة ــ العربى الذى كان فى الصورة قائلا :

"كان يوجد بين هذه الصور ، صورة لفتاة عربية ، وصورة عائلية وصورة عجوز واحد سقيم العينين" .

كما يصف "عاموس عوز" ــ فى قصة "البدو الرحل والثعبان"ــ البدو الرحل وهم ينتقلون من مكان لمكان قائلا :

"سيل متقطع وعنيد يتجه شمالا ، تاركا وراءه الأماكن التى كان يستوطنها وينظر متعجبا إلى المناظر العاصفة"

٢ــ محملقتان وترفان فى عصبية :

حيث يصف " س.يزهار" ــ فى قصة "خربة خزعة" ــ عيون العرب الذين كانوا يختبئون بين الحقول بعد أن وصف التل الذى

وصل اليه الجنود الإسرائيليون بالعربة الجيب ليشرفوا منه على الجانب الآخر والأراضى الواسعة المترامية الأطراف والتى بدت أسفل التل فيقول :

"واذا بتلك العيون المتهمة تحدق بك من قلب الحقول ، إنه صمت النظرة المتهمة تماما كتلك التى للحيوانات المهانة ، تحدق به وتصحبك ولا مفر"

والوصف هنا يعبر عن الحزن الذى ألم بالفلاحين الذين وقفوا مكتوفى الأيدى عاجزين عن عمل أى شىء فى حقولهم .

أما "عاموس عوز" فيصف ـ فى قصة "البدو الرحل والثعبان"ـ البدو وهم يتنقلون مع أغنامهم من مكان لمكان بحثا عن المرعى وهربا من الجوع قائلا :

غنمهم الأسود مبعثر فى المناطق تأكل طعامها بأسنان قوية وشرهة وخطوات أصحابها صامتة وبطيئة وأعينهم تراقب كل شىء"

وهذا الوصف يعكس مدى الحذر والحرص الذى يعيش فيه البدو فهم من ناحية يخشون أن يراهم أحد من اليهود فيمنعهم من الرعى ، ومن ناحية أخرى يحرصون على أن يستفيد قطيعهم من كل ما يتاح لها من مرعى .

كما يصف "عاموس عوز" ـ فى نفس القصة ـ البدوى عندما قابلته "جئولا" وسألته عما يفعله فى الظلام وعما اذا كان لصا أم لا فيقول :

"لا ، حقا لا، أبدى اقتناعا كاملا وعاد للابتسامة . وكانت عينه المفتوحة ترف تلقائيا فى عصبية .... انكمش العربى من تأثير الكلمات السريعة وحملق بعينيه فى الأرض" .

وهذا الوصف يختلف عن الوصف الأول ، فهو هنا لا يعكس الحرص والحذر ولكنه بمثابة ستار يحجب انفعالات البدوى عن "جئولا" عندما قالت له متعجبة : "لص" فالكاتب يحرص على أن يوضح أن البدوى كان يشعر بأنه عمل عملا غير شرعى وأنه تسبب فى الحاق الخسائر بمزارع المستعمرة ولذلك فإن عينيه كانتا تحملقان فى عصبية ليتبين مالم يتمكن من الإفصاح عنه .

٣ـ شاردتان ترتعدان من الخوف وتبعثان على الحيرة والشك والحقد :

حيث يصف "ناتان شاحم" الشاب العربى ــ فى قصة " تراب الطرق" ــ الذى حاول الهرب من كفتوروفيتس قائلا : "وجهه غاضب، عيناه سوداوان قاسيتان تبعثان على الشك حاقدتان تنظران اليهم فى كل اتجاه" كما يصف الشباب العرب الذين كانوا ينتهزون فرصة ابتعاد "كفتوروفيتس" أو اختفائه لينقضوا على المربى ويلتهمونها قائلا :

"اختفى "كفتوروفيتس" فى فتحة البرميل . طالت اللحظات كانت العيون الحاقدة تكمن من كل جانب وتنتظر الوقت المناسب".

والوصف هنا يوضح مدى الحرمان الذى يعيش فيه العرب، كما يوضح أيضا المعاملة السيئة والارهابية التى يلقاها العرب من اليهود والذى يؤكد ذلك أننا نجد أنه على الرغم من أن "يوسف حنانى" ــ فى قصته "مزمار أحمد" ــ كان يعامل أحمد بلطف ويحاول الاقتراب منه ليعبر له عن اعجابه بعزفه على الناس الا أن أحمد كان لا يزال خائفا وينظر حوله فى رعب وفزع حيث يقول "حنانى"

"كان كلامى مزيجا مشوها من العربية والعبرية ، وبدا أن وضوح وجهى قد أزال خوفه ، وبدأ هو يقترب منى ويلقى حوله بنظرات مليئة بالرعب"

٤ــ شريرتان تنظران فى عداء للآخرين وتشعان بريقا حادا:

حيث يصف "ناتان شاحم" الشاب العربى الذى جرى وراء عربة "كفتوروفيتس" المحملة بالمربى قائلا :

" شاب واحد فقط ، وجهه مستدير، وعيناه صغيرتان وشريرتان" و "شاحم" يعبر هنا عن حالة الشاب الذى جرى مع زملائه وعيناه كانتا مليئتان بالشر لأنه يتوقع أن يضربه "كفتوروفيتس" بالسوط . وعندما حدث ذلك بالفعل نجد أن "شاحم" قد وصف عيون العربى ــ فى نفس القصة ــ بأنها تنظر فى عداء للآخرين فقال عندما وصف العرب الذين كانوا يقفون على أحد جانبى الطريق :

"مجموعة من الشباب تقف على جانبى الطريق ، بجوار العربة ،

ونظرت اليهم فى عداء وفجأة انحنى واحد منهم ، ورفع حجرا وألقاه بقوة تجاه العربة" .

كما يقول :

"وقف عدد من الشباب أمام العربة ، عمل تحدى ولم يخلو الطريق تجاهلهم " كفتوروفيتس" ، فقفزوا من مكانهم فى آخر لحظة ونظروا اليهم بنظرة عداء وهنا يعبر " شاحم " عن مشاعر العرب الذين ساءهم ما حدث للشباب العربى الذى سقط تحت العربة ، كما ساءهم أيضا اعتداء "كفتوروفيتس" بالضرب على الشباب العرب ، ولذلك فإنهم كانوا يقفون وينظرون فى عداء تجاههم حتى أن أحدهم التقط حجرا من الأرض والقاه بقوة تجاه العربة .

ويلاحظ أن شاحم أراد ان ينبه اليهود إلى معاملتهم السيئة للعربى وإلى أحقية هؤلاء العرب فى العيش على أرضهم فيقول:

"أرض إسرائيل ليست صهيون ولكنها فلسطين . العربى ليس صورة تصويرية فى كتب الجغرافيا، ولكنه إنتاج حى ، يقف على أرضه ، وينظر فى عداء للآخرين" .

وكأنه يقول لهم : إن العربى ليس غائبا ، ولكنه موجود ومشحون بالغضب والعداء تجاهكم لما يلقاه من معاملة سيئة .

د ــ الأسنان :

تعرض الأدباء الاسرائيليون الذين تناولوا الشخصية العربية الفلسطينية فى قصصهم القصيرة إلى وصف أسنانها ، ونظرا لأن تناولهم كان منصبا على الفلاح والبدوى فإن وصفهم للأسنان جاء مناسبا لهذين النمطين حيث شاع عنها :

١ــ أنها سوداء :

فيصف " اسحق أورباز" ــ فى قصة "على سن الطلقة " صورة " ابراهيم عبد المحسن جامونى " قائلا :

" كانت له أسنان سوداء ، وأسفاه لقد شوهت الأسنان تلك الابتسامة القلبية "

وهذا الوصف مناسب لشخصية " ابراهيم عبد المحسن جامونى" على أساس أنه فلاح والمعروف عن الفلاحين عدم الاعتناء بأسنانهم .

٢ــ مثل أسنان الحيوانات :

فنجد أن " يوسف أريخا " قد استعار الذئب من البيئة الصحراوية وشبه أسنان أحد أفراد العصابة بأسنانه فى قصة "منظر ليلة " قائلا :

" بعد أن مشط رئيس العصابة شاربه مرة أخرى بابهامه وأصبعه، وبخ فجأة الرجل المتوحش الذى يكشف أسنانه كالذئب الوحشى "

ولعل "يوسف أريخا" قد اختار الذئب بالذات ليعبر عن مدى القسوة التى عامل بها هذا الرجل (أحد أفراد العصابة) " أهارون جلعادى " .

كما أن " عاموس غوز " استعار الثعلب من البيئة الرعوية وشبه أسنان البدوى بأسنانه فوصف فى قصة " البدو الرحل والثعبان " ــ أحد البدو الذين قاموا بعملياتهم الانتقامية ضد اليهود قائلا :

"ظهر بملامح وجه ماكرة حتى يمكنه التدمير : مكشوف العينين ، ومكسور الأنف ، ولعابه سائلا ، وفكاه بارزان ، وظهرت من بينهما أسنان طويلة ملوية كأسنان الثعلب ".

ويبدو أن الكاتب اختار الثعلب بصفة خاصة لأنه ــ أى الكاتب ــ وصف البدوى بالمكر والخداع وهذه الصفات من صفات الثعلب .

هـ ــ الأيدى :

وجاء وصفها مناسبا لشخصية الفلاح حيث وصفت بأنها سمراء ، وخشنة ، وطويلة ، فيقول " ش . يزهار " فى وصفه للعربى العجوز الذى وقع بين أيدى الجنود الإسرائيليين فى قصة "خربة خزعة ".

"أصبح أثناء حديثه بجوار بهيمته ، ويمسك حزام بطنها بيده السمراء المتيبسة"

ويصف أحد العرب الذين كانوا يجلسون تحت الجميزة قائلا :

"شخص ذو شارب غليظ ، كان يجلس فى طرف الدائرة ، ويلف بيديه القرويتين السمراوتين"

كما يصف العرب الذين جمعوهم من القرية ووضعوهم تحت شجرة خارجها فيقول :

"وهناك من كتفوا أيديهم الكبيرة الخشنة ، أيدى فلاحين ، على صدورهم"

وفى قصة " الحاج ابراهيم "يصف" أشر براش " تصرف ابراهيم

عندما كان فى الحقل ورأى الشاب الصغير وهـــو يقطــف اليقطيـــن الصغير فيقول :

انحنى قليلا ، ومد يديه الكبيرتين الخشنتين ، وأمسك الشاب بشدة ، رفعه بإحدى اليدين ودفعه فى الهواء"

أما فى قصة "أبو يوسف" فيصف "حاييم هزاز" أبو يوسف قائلا:

كان طويل القامة ومنحنيا قليلا ، وجهه ككتلة من الأرض فى وقت الجفاف ويداه طويلتان أكثر من المعتاد ."

وطول اليدين هنا أيضا مناسب لشخصية " أبو يوسف " لأنه كـــان حارسا فى أحد السجون والمعروف عن الحراس أنهم يكونون طـــوالا وأقوياء ، بالاضافة إلى أن " أبو يوسف " كان فلاحا قبل أن يعمل فـــى مجال الحراسة .

والقدمان :

تعرض الأدباء الاسرائيليون لوصف القدمين فى تناولهم للشــخصية العربية الفلسطينية وشاع عنها فى كتاباتهم أنهما حافيتان : فيقول "س. يزهار" ــ فى قصة " خربة خزعة " ــ فى وصفه للعـــرب الذيـــن جمعوهم من القرية وشحنوهم فى العربات :

" واصلا السير فى بركة الماء مباشرة ، يخوضـــان فـــى المـــاء بأقدامهما الحافية "

وفى قصة الحاج ابراهيم ــ يصف "أشر براش" ابراهيم قائلا:

"السمرة والصلابة من الرياح والشيخوخة ، كفا قدميه الحافيتين فى صندل من المطاط "

ويصف يوسف أريخا الراعى فى قصته " الرسام والراعى" فيقول:

"وقدماه الحافيتان ، والسوداويتان تخطوان فى همجية صحراوية ثم يعرب عن مشاعر الرسام قائلا :

"توقع أن يرى خلف ظهره خنجرا مصقولا ، وعينين فيهما القتـــل وقدمين حافيتين لينقلا الراعى من الكمين رويدا رويدا .

وفى قصة "البدو الرحل والثعبـــان" ــ يصـــف "عـــاموس عـــوز" الرجلين اللذين رافقا الشيخ الذى حضر الى الكيبوس ليعتـــذر عـــن أعمال الشباب العرب فيقول :

"ثم قام وخرج ، هو والرجلان الحافيان اللذان يرتديان جلابيبهما القاتمة".

كما يصف البدوى الذى تحدث مع جنولا قائلا :

"العربى يوسع ضحكته ، ويحنى قامته وكأنه يقدم الشكر على جميل كبير .

شكرا جزيلا ياسيدتي ، ابهاما قدميه الحافيتين غرستا فى الأرض الرطبة ويلاحظ هنا أن وصف القدمين كان شائعا بالنسبة للفلاح والبدوى كما كان بالنسبة لوصف الأسنان ولم يكن مقصورا على الفلاح فقط كما كان فى وصف الأيدى .

ثانياً : الملابس

امتد اهتمام الأدباء اليهود فى تناولهم للشخصية العربية الفلسطينية إلى وصف ملابسهم الخارجية ، وكان وصفهم مركزا على الملابس الريفية والبدوية وتجاهلوا تماماً وصف الملابس الحضرية وذلك حتى تكتمل الصورة التى عمدوا إلى تصويرها وهى أن الشخصية العربية الفلسطينية : إما شخصية بدوية أو ريفية وجاء الوصف على النحو التالى :

١ــ الفلاحون يرتدون قفاطين ويضعون على الرأس عمامة أو طاقية :

حيث يصف "س . يزهار" ــ فى خربة خزعة ــ العجوز الذى كان يستمع إلى الحوار بين " مويشلى وجابى" وقد خيل إليه أن ثمة تردداً فى الأمر قد صار لديهما بالنسبة له فيقول :

استدار نحونا ، طاقية صغيرة على رأسه ، ولحيته بيضاء ، وقفطانه مخطط مفتوق من على صدره الأشيب .

ويصف العربى الذى دفعه " مويشى " بقوة داخل العربة قائلاً:

"بقيت ساقاه ، وذيل قفطانه ، وصندله تتدلى خارجها وهى تتخبط تخبطات مضحكة" .

كما يصف العجوز الذى جلس على حجر بجانب أحد المنازل فيقول : وسرعان ما راح ذلك الرجل ، ذو العمامة البيضاء ، والحزام الأصفر يحاضر أمامنا "

ويصف عربياً من بين أول مجموعة بدأ نقلا بالشاحنات قائلا:
"وسرعان ما انبرى من بينهم أحد الرجال بقفطانه المقلم وحزامه الجلدى اللامع الأبزيم".
كما يصف العربى الذى توجه إلى أحد الجنود الإسرائيليين ليسأله عما إذا كان العرب سيأخذون معهم حاجاتهم أم لا فيقول :
"وهنا توجه الينا عربى من فوق الشاحنة فجأة ، ذلك المقلم اللامع الأبزيم"
ويلاحظ أن "س . يزهار" قد صور ملابس الفلاح فى القرية كما رآها وربما يرجع ذلك إلى أنه ولد فى فلسطين وكان يعبر من خلال انتاجاته الأدبية عن احساسة بالطبيعة الفلسطينية واللقاء مع الشعب الفلسطينى وجها لوجه.
وفى قصة " الحاج ابراهيم " يصف " اشربراش " الحاج ابراهيم وهو جالس أمام محل الخضروات قائلاً :
"هو نفسه يجلس على عتبة حجرية ، ضخم الجسم ، يرتدى قفطاناً جميلاً وطويلاً ومحزم بحزام وعلى رأسه طاقية"
ويصفه عندما كان يسير بين الكتل الترابية التى نسج عليها العشب الجميل ونبات اليقطين فيقول :
"سار الحاج ابراهيم بينهما بقفطانه الواسع"
كما يصفه عندما كان يقطف اليقطين من بين الأحواض فيقول:
"هو نفسه انحنى وبدأ يبحث بين الأحواض ، واختفى هنا وهناك قطف يقطينة خضراء ووضعها فى جيب قفطانه"
وفى قصة "صفية المسيحية" يصف "اشربراش" ايضاً العربى الذى خرج من المنزل ثائراً غاضباً قائلاً :
"وبينما أقف مندهشاً ، ثار فى الخارج عربى مكشوف الرأس، يقفز فى قفطانه لينجومن الخطر" .
وهنا نجد أن "اشربراش" قد صور الفلاح الفلسطينى كما هو على طبيعته وهذه سمة من سمات "براش" البارزة فى كتاباته القصصية حيث أنه يتميز فى كتاباته بالبساطة وتناول نماذج من الحياة البشرية كما هى فى الواقع .

ب ــ البدو يرتدون جلابيب غامقة :

يصف "عاموس عوز" الرجلين اللذين كانا مع الشيخ الذى أحضروه إلى مقر سكرتارية الكيبوتس وشرحوا له ماقام به البدو من أعمال السرقة فيقول :

" ثم قام وخرج هو والرجلان الحافيان اللذان يرتديان جلابيبهما القاتمة".

ثم يصف البدوى و "جنولا" تنظر اليه فيقول :

" تتطلع الفتاة لجلبابه الغامق الثقيل وقالت له : الاتشعر بحرارة من هذا ؟ "

ويلاحظ هنا أن "عاموس عوز" قد وصف ملابس البدوى ولم يتعرض لوصف ملابس الفلاح وربما يرجع ذلك إلى كتاباته القصصية تتناول الأحداث العامة التى يجعل الكيبوتس مسرحاً لها ، ومن الطبيعى أن يكون تناوله مقصوراً على البدو لأنهم هم الذين ينتقلون بقطيعهم فى المناطق المجاورة لمزارع الكيبوتس بحثاً عن المرعى وجاء اختياره للجلاليب الغامقة مناسباً جداً لهم لأنها تعكس أشعة الشمس نهاراً فتشع الدفء فى أجسادهم كما أنها تحميهم ليلاً من برودة الجو وهم فى الصحراء .

المبحث الثانى
الطبائع والقيم الدينية

إذا كانت السمات الخارجية لأية شخصية تعطى انطباعاً خاصاً عن هذه الشخصية وتعكس بعض الانطباعات الداخلية والمشاعر النفسية لها ، فإن الطبائع والقيم هى التى تؤكد صدق هذه الانطباعات، وتكمل الصورة النهائية التى توضح هوية هذه الشخصية واتجاهاتها وأنماط حياتها .

ولما كان هناك اهتمام من جانب كتاب القصة الإسرائيلية القصيرة بتناول السمات الخارجية للشخصية العربية الفلسطينية ضمن إطار تصويرها ، فإن طبائع وقيم هذه الشخصية قد حظيتا بنصيب أوفر من الاهتمام من جانب هؤلاء الكتاب . ولذلك فإننا سنحاول تحليل هذا الجانب من خلال النماذج الأدبية المختارة استكمالاً لمحاولتنا إيضاح رؤية الأدباء الإسرائيليين لصورة الشخصية العربية الفلسطينية خلال الفترة موضوع البحث وذلك من خلال عنصرين رئيسيين وهما الطبائع ، والقيم الدينية .

أولاً : الطبائع

كان وصف طبائع الشخصية العربية الفلسطينية فى مقدمة الجوانب التى نالت اهتمام أدباء القصة الإسرائيلية القصيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) نظراً لأن هؤلاء الأدباء قد حرصوا على تشويه صورة العربى الفلسطينى ،.والتحقير منها ، وإظهاره فى صورة بشعة متوحشة وذلك كما سيتضح من تحليلنا لهذه الطبائع.

وقد رأينا أن نقسمها إلى خمس نقاط على النحو التالى :

أ ـ الوحشية

تجسيداً للرؤية الصهيونية للشخصية العربية الفلسطينية على أنها شخصية تحمل فى طياتها قدراً هائلاً من الرغبة فى الانتقام بما ينطوى ذلك على قدر كبير من الوحشية والتعطش للدماء فقد حرص الأدباء اليهود على أن يظهروا العربى الفلسطينى فى صورة متوحشة مرعبة فصوروه على النحو التالى :

١ ـ مثل الحية السامة والثعبان

حيث يصور " س . يزهار" ـ فى قصته "خربة خزعة" ـ على لسان " شلومو ويهودا " الطفل العربى الصغير حين يكبر ويكون رجلاً بأنه سيكون مثل الحية السامة ـ فيقول :

"رأينا كذلك ذلك الشيء الذى كان يدور ، والذى لايمكن أن يكون حين يكبر إلا حية سامة ، ذلك الذى هو الآن" .

وقد جاء التصوير بهذه الصورة تبريراً لما يقوم به الجنود الإسرائيليون من أعمال انتقامية ضد العرب ، رجالاً ونساءً ، وأطفالاً . وأن ما يقوم به اليهود من أعمال ضد الأطفال هو اتقاء لشرهم حينما يكبرون .

وفى قصة "الأسير" يصف " س . يزهار" أيضاً الشخص الذى كان يجلس على أحد جانبى الصخرة عندما كان الجنود يقطعون الطريق جيئة وذهاباً فيقول :

"وخلال هذه الضجة غاب عن ذهننا أن شخصاً ما كان يجلس على أحد جانبى الصخرة فى المنحدر بين عقبى بندقية وزوجين من الأحذية ، إنه الأسير الذىكان يتلوى كالثعبان" .

وكما جاء التصوير فى "خربة خزعة" ليبرر الأعمال الإنتقامية للجنود الإسرائيليين ضد العرب فان التصوير فى "الأسير" جاء تبريراً للقبض على البدوى الذى كان يجلس فى حال سبيله دون أى ذنب اقترفه .

أما فى قصة "الرسام والراعى" فإن "يوسف أريخا" قد بين سبب القلق الذى كان يعيش فيه الرسام بعد أن تركه الراعى قائلاً:

"كان يتوقع أن يرى خلف ظهره خنجراً مصقولاً ، وعينين فيهما القتل، وقدمين حافيتين لينقلا الراعى من الكمين رويداً رويداً كحية مفترسة" .

والكاتب هنا أراد بهذا التصوير أن يظهر الراعى فى صورة بشعة وخطرة ، وأنه خائن ولا أمان له وليس عنده مجال للتفاهم، وأنه من الممكن أن يتسلل خفية كالحية المفترسة وينقض على الرسام .

٢ ــ مثل الرجل المتوحش :

يصف "يوسف أريخا" فى قصته "منظر ليلة" أحد العرب الذين قابلوا أهارون جلعادى وهو يسير ليلاً فى الطريق بعد أن وصف أفراد العصابة فيقول :

طوال القامة وأقوياء ، ملثمين ويرتدون ملابس من الكتان ، ملفوفين بالعباءات وعيونهم تلمع كالخنافس الهامسة ، وأسنانهم بيضاء، وأنوفهم دقيقة وأصابعهم مربوطة بأشرطة . احدهم كان صبيا، ويبدو كرجل متوحش .

ثم يصف نفس الرجل فى قصة أخرى فى نفس القصة قائلا : "بعد أن مشط رئيس العصابة شاربه مرة أخرى بابهامه وأصبعه، فجأة وبخ الرجل المتوحش الذى كشف اسنانه كالذئب المتوحش".

والعصابة هنا مقصود بها مجموعة من الفدائيين كانت تقوم بأعمالها الفدائية ضد إحدى المستعمرات ، والرجل الذى وصف بأنه متوحش هو أحد أفراد هذه المجموعة ، ولذلك فإن الكاتب وصفه بهذه الصفة ليبين أن هؤلاء الفدائيين يقومون بأعمال إرهابية ضد اليهود .

وفى قصة "البدو الرحل والثعبان" يصف "عاموس عوز" الراعى على لسان جئولا قائلاً :

"طرح جسمه على الأرض ، أمسك بعنقى ، وألقى بنفسه على بطنى ، كان مخيفاً ونحيفاً ، وصغيرا ، صغيراً كالشاب ــ وقوياً متوحشاً .

وهنا نجد أن "عاموس عوز" قد وصف الراعى بأنه متوحش ليكمل الصورة التى أراد أن يصور البدو بها وهى أنهم مزعجون، ومتسللون، ولصوص ومتوحشون .

أما فى قصة " قيثارة يوسى" فيصف مردخاى طبيب الشباب العرب قائلاً :

فان يوناه اليوم كما هى ضعيفة وواهنة جسدياً ونفسياً ، أما هؤلاء الصغار الذين يثيرونها فإنهم متوحشون بطبيعتهم وقد وصف "مردخاى طبيب" الشباب العرب هنا بأنهم متوحشون بطبيعتهم ليؤكد على الفكرة التى يريد أن يبثها من خلال قصته وهى أن العرب هم

سبب البلاء الذى حل بيوناه ، كما كانوا السبب فى مقتل يوسى .

٣ ــ مجرم ويثير الرعب

حيث يقول " س . يزهار" فى "خربة خزعة" علـــى لســـان أحـــد الجنود الإسرائيليين وهو ينظر إلى القرية التى سادها الصمت ولاحت فى افقها الآلام والأحزان :

"يوم واحد فقط غير مريح ثم نضرب جذورنا من بعده هنا لأيـــام كثيرة مثل الشجرة على غدير ماء . أجل وفى المقـــابل المجرمـــون "والوصف هنا جاء ضمن سلسة الأوصاف التى وصف بـــها الجنـــود الإسرائيليون عرب القرية تبريرا لأعمالهم" .

وفى قصة "منظر ليلة" يصف "يوسف أريخا" تصرفات أحد أفـــراد العصابة مع أهارون جلعادى قائلاً :

"وبسبب الحقد الناتج عن الغيرة والتعصب كان يقفز عليه ليخيفـــه بكلتا يديه ، ليهرسه ويمزقه إرباً ، ويبدو أن الغيور الكبير كان صبيـــاً قاتلاً ولولا اليد التى أمسكته من كتفه ودفعته بقوة جانبـــا لكـــان مـــن الممكن أن يدمر من أجل أن ينفذ مؤامرته .

وقد أراد "أريخا" أن يبين ما يثيره هذا الرجل مـــــن رعـــب فـــى "أهارون جلعادى" فوصفه بالحقد والغيرة والقتل والتدمير ، كل هذا فى إطار ما يرمى إليه من تشويه صورة الأعمال التى يقوم بها الفدائيون.

أما فى قصة "تراب الطرق" فيصف "ناتان شاحم" تصرفات أحـــــد الشباب العرب الذين كانوا يعترضون عربة كفتوروفيتس قائلاً :

"مجموعة من الشباب تقف على جانبى الطريق ، بجـــوار القريـــة ونظرت اليهم فى عداء وفجأة انحنى واحد منـــهم ، ورفـــع حجـــراً ، والقاه بقوة تجاه العربة" .

والكاتب هنا أراد ان يبين أن الشباب العرب يتميزون بالعدوانيـــة وأنهم يثيرون الرعب فى قلوب اليهود بإلقائهم الحجارة عليهم ، كمـــا أراد أن يخلق مبرراً لتصرف كفتوروفيتس عندما القـــى بأحدالشـــباب تحت العربة

ب ــ متسلل ورجل عصابات ولص :

حرص الأدباء الإسرائيليون أيضـــا علـــى أن يظـــهروا العربـــى

الفلسطينى فى صورة المتسلل ، واللص ، ورجل العصابات وذلك حتى يبرروا لأنفسهم مطاردته ، ومعاملته بقسوة وعنف وطرده من أرضه . وقد تكررت هذه الصورة كثيراً فى كتابات الأدباء الإسرائيليين مما يؤكد شيوع المفاهيم الخاصة بتشويه صورة العربى الفلسطينى . ومن أمثلة ذلك :

نجد أن " س . يزهار" يتحدث فى "خربة خزعة" عن التعليمات التى تلقاها من قيادته قائلاً :

"ولايمكن تقدير هذه الخاتمة النزيهة حق قدرها إلا بعد أن تعود إلى البداية ، ونستعرض فيما نستعرض ذلك البند الموقر "معلومات" الذى سرعان ما يحذر من خطر متزايد لـ "متسللين" و"نوى عصابات".

وفى معرض وصفه للقرية وهدوئها ، والطبيعة الجميلة آسفاً على المهمة المكلف بها هو وزملاءه متمنياً لو كانوا فى رحلة مدرسية ليستجموا فى هذا الجو الرائع يقول :

"القرية التى هناك ، والمتسللون الذين فيها"

كما آسف على وجوده وحيداً فى السهل قائلاً :

"المعارك والعمليات ، والمهام كلها كانت غريبة عنى . وكل أولئك العرب القذرون ، والمتسللون لأحياء نفوسهم القاحلة"

و"يزهار" يسوق هذا الوصف فى "خربة خزعة" على لسان السلطات الإسرائيلية التى أساءت إلى شخص العربى الفلسطينى وشوهت صورته أمام الجندى الإسرائيلى حتى يقدم على تنفيذ ما يصدر إليه من تعليمات دون تفكير .

وفى قصة "منظر ليلة" يصف "يوسف أريخا" الطريق إلى منزل "أهارون جلعادى" فيقول :

" وفى الحقيقة ، فان الطريق مازالت مليئة بعصابات السلب والنهب ثم قال عندما وقع "جلعادى" بين أيدى أفراد العصابة :

"وفوراً هيىء له أنه سقط بين أيدى عصابة تقوم بعملياتها فى المساء ويحتمل أن تكون هذه العصابة هى نفس العصابة التى هاجمت " تل تسوك" منذ ثلاثة ايام .

ويقول فى مكان آخر من نفس القصة :
"تخيل أنه سيقع بين أيدى عصابة قاتلة تنهى كل شيء ويبدو أن ذلك قد تحقق" .
كما يقول عندما بدأ أفراد العصابة يسألون "جلعادى" بعض الأسئلة:
"وبدأ هؤلاء يسألونه أسئلة ، وجلعادى يجيب في هدوء والكل ينظرون بأعينهم إلى رئيس العصابة الذى يقف فى وسطهم .
ثم يصف أفراد العصابة بعد أن أخذوا جلعادى معهم إلى المكان الذى يختبئون فيه قائلاً :
"وهكذا كانوا يسيرون : حاملو البنادق على الجوانب ، وفي المقدمة ورئيس العصابة فى الوسط يهتز على سرج مهرة سوداء.
ويصف فى مكان آخر من القصة افراد العصابة عندما جلسوا ليأكلوا فيقول :
" وجلس هؤلاء وأرجلهم مطوية فى شكل دائرة حول النار ، منهمكين على مأدبة الغداء ، على عجلة حديدية مقعرة يأكلون فتات الخبز ، وكان رئيس العصابة الذى بدا وكأنه اكل وجبة خفيفة ، ممدداً وملفوفا ببطانية ويستعد للنوم .
كما يقول فى موضع آخر :
" ومن خلال همهمة السائرين عرف جلعادى أن رئيس العصابة هو "ابو يوسف" بجلاله وقدره حيث ذكر أسمه سواء على السنة رجال السلطة أو على السنة المستوطنين بانه رئيس عصابة ، ولص قوى .. وهو نفسه "أبو يوسف" الذى اختطف عدداً من أبناء المستعمرات ولم يعيدهم " .
وكما ذكرنا من قبل فإن المقصود بالعصابة فى هذه القصة هى مجموعة من الفدائيين كانت تقوم بأعمالها ضد أحدى المستعمرات ، ولعل يوسف اريخا قد وصفها بهذه الأوصاف حتى يشوه صورة العربى الفلسطينى الذى يكافح من أجل حقوقه المشروعة وحتى يضع ما يقومون به فى مجال عمليات السلب والنهب .
أما فى قصة "البدو الرحل والثعبان" فإن "عاموس عوز" يتحدث عن البدو فيقول :

إنهم يسرقون ثمار الفواكه غير الناضجة التـــى فـــى البســاتين ، ويفتحون الحنفيات ويسرقون الأكوام المهجورة ، ويسرقون حظـــائر الدجاج ، وينتفون ريش الطيور ، أضف إلـــى ذلـــك ــ ونرجـــو الا يساورك الشك ــ أن أيديهم قد وصلت إلى الأمتعة التى فـــى شـــقتنا الصغيرة .

كما يقول فى مكان آخر من نفس القصة :

" إن الظلام يشاركهم فى جرائمـــهم ، اللصـــوص يمـــرون فـــى المعسكر كالريح ، ولم يجدوا الحراس الذين وضعناهم ، ولا الحـــواس الذين أضفناهم اليهم ".

ويتحدث عن عمليات التفتيش التى كانت تقوم بها السلطات داخـــل مخيمات البدو لتبحث عن السرقات والسارقين فيقول :

"لم تسفر العمليات الهجومية المفاجئة التى تمت فـــى المخيمـــات الممزقة عن أى شىء ، وكأن الأرض قررت أن تتستر على الســـرقة وتنبه السارقين".

وفى مكان آخر من نفس القصة ينتقد "عـــاموس عـــوز" تعـــاطف "أطقين" مع البدو ويعبر عن عدم جدوى هذا التعاطف فيقول :

"ولكن هذه المرة كل شىء زاد عن حده ولذلك ماذا يعتقد "اطقيـــن" إنهم يسرقون ويغتصبون ، ويدمرون ، ويحولون أراضينا إلى رعـــب شديد.

ثم يشير إلى أن البدو يسرقون بعض الأشياء فيقول :

"حتى الآن لم يحدث شىء مروع حقيقى . بعض عمليات الســـرقة ليست نهباً ، واغتصاباً ، وقتلاً"

ولعل وصف "عاموس عوز" للبدوى بهذه الصفات أيضاً وتكـــراره لها اكثر من مرة فى سياق القصة مقصود به تشويه صــــورة البـــدو وانهم هم السبب فى كل ما يلحق بالكيبوتسات الإسرائيلية من اضـــوار ، كما ان هذا التكرار يؤكد شيوع الأفكار المقصود بها تشويه صـــورة العربى الفلسطينى على أيدى الكتاب الإسرائيليين .

جــ ــ الجبن والمذلة :

الجبن والمذلة من بيـــن الصفـــات التـــى وصـــف بـــها الأدبـــاء

الإسرائيليون عرب فلسطين فى قصصهم القصيرة خلال الفترة موضوع البحث حيث شاعت هذه الصفات فى كتاباتهم على النحو التالى :

١ـ أنهم جبناء :

حيث وصفوا بذلك اما صراحة أو شبهوا بالقنفد والفأر . فيقول " ناتان شاحم " فى قصة " تراب الطرق " على لسان كفتوروفيتس عندما سأله " الياهو " عن امكانية أن يسافر إثنان إلى الخليل " يمكن أن تخاف أيضا من الحجر الذى فى الحقل ـ هل ترى هذا الحجو ، ذاك الكبير يمكن أن يأتى عربى ويلقيه علينا ، إننا يجب أن نوجه للجبناء النظرات وكل ما سوره بندقية".

ووصف العرب بالجبناء هنا هو وصف مقصود من جانب "ناتان شاحم" حيث يريد بذلك أن يوضح لالياهو أن العربى ليس له أمان ويمكنه أن يلحق الأذى باليهودى فى أى وقت ، ومن هنا كان السبب فى معاملة كفتوروفيتس القاسية للشباب العرب ، كما أنه يريد أن ينبه "الياهو" لأن يأخذ حذره من العرب وأن يبادرهم بالمعاملة القاسية اتقاء لشرهم .

وفى قصة "الكنز" يصف "أهارون ميجد" "سليمان" عندما سمع أصوات خطوات وهو فى طريقه الى الكنز فيقول :

"انكمش سليمان كالقنفد ، والتصق بالساق وعلى بعد أربعة أقدام كانت هناك أصوات عالية .

ثم يصفه وهو يحاول الهروب من المخزن فيقول :

"سرت حرارة فى داخله وقال : سجن ، لايمكن الهرب ، حبسنى عدوى كحبس الفأر" .

ويلاحظ هنا أن "أهارون ميجد" قد استعار بعض الحيوانات من البيئة القروية ليشبه بها سليمان الرجل العربى ، وربما يرجع ذلك إلى أنه من الكتاب الإسرائيليين الذين اهتموا بوصف الحياة القروية وصفا دقيقا . وقد وصف سليمان أولا بأنه انكمش كالقنفد وذلك ليبين مدى جبنه فانكماشه بهذه الصورة كان لمجرد أنه سمع صوت خطوات على مقربة منه ، ثم وصفه بعد ذلك بالفأر وكان إختياره

للفأر مناسبا جدا لأن سليمان كان موجودا فى مخزن للغلال وعادة ماتتواجد الفئران في مخازن الغلال بكثرة والهدف من وصفه بالفأر هو إظهار مدى جبنه أيضا فهو خائف حتى من مجرد الهروب .

٢ـ صفات الاستسلام والإذعان والمذلة :

وقد ورد ذلك إما صراحة أو فى صور استعارية حيث شبهوا بالشحاذين في توسلاتهم وبالخرس والأحجار الصماء فى صمتها وسكونها إن "س.يزهار" يصف فى "خربة خزعة" حالة العجوز الذى أخذوا منه الجمل فيقول :

"رغا العجوز متزلفا ، وكان مستسلما ، ومخلقا ، ومؤملا ومصليا، وجاهزا لأى شيء" .

كما يصف العربى الذى أمسكوا به بعد أن حاول الهروب فيقول :

"وفى النهاية بلع الرجل ريقة ، ثم عاد ومد يده مستسلما . ثم يصف العربى الذى كان فى العربة الجيب قائلا :

"كان العربى الذى فى الجيب ينحنى مستسلما ، وهو لايزال يحاول إخفاء آلام معدته بابتسامة اعتذار شاحبة سخيفة .

ويصف العجوز عندما طلب منه "مويشى" ان يختار بين نفسه أو الجمل فيقول :

"يلله" حكم مويشى : إمشى يلله .

طيب قال العجوز ، طيب ماشين ، وانحنى قليلا بإزعان اقرب الى صدمة القلب ثم تراجع عدة خطوات .

كما يصف الرجال والنساء والأطفال الذين وقفوا بجوار جدار إحدى المنازل عندما كان الجنود يقبضون على الشباب فيقول :

"حملقوا فينا بنوع من التجمد واليأس ، وبلمحة بارقة من حب الاستطلاع الذى يطل من خلال الرعب ، والذل واليأس ، والدمار ، ومن خلال مباغتة الكارثة التى حلت لتوها ، ويتضح من هذه الاستشهادات الحالة السيئة التى وصل اليها عرب القرية وعجزهم عن مواجهة الجنود الإسرائيليين ، كما يتضح منها دافع المقارنة التصويرية لجماعة غربية من الغزاة المدججين بالسلاح وعرب مدنيين عزل من السلاح غير قادرين على مواجهة هؤلاء الغزاة وليس

فى مقدورهم إلا الخضوع والاستسلام .

أما "يوسف أريخا" فإنه يصف الراعى ــ فى قصة "الرسام والراعى" ــ عندما مر على الرسام فيقول :

"ومن خلال وجهه يبدو عليه الخضوع والاستسلام ألقى التحية على الرجل الغريب" .

كما يصفه عندما حاول أن ينادى على الرسام فيقول :

نهض كشيء مهمل ، توجه متسلقا الصخرة هادئا لينادى الرسلم ، وما أن طبع على وجهه علامات الاستسلام حتى استجاب له ألونى بعربية واضحة . واستسلام الراعى هنا نابع من معرفته لحقيقة مصير الأرض التى يرعى فيها واعتقاده فى أن وجود الرسام سيتبعه مجموعة من الإجراءات الشكلية للسيطرة على هذه الأرض ، وهو فى نفس الوقت لايستطيع أن يفعل شيئا للحيلولة دون ذلك .

وفى قصة "الخشخاش المر" يقول "موشيه شامير" على لسان شبيرا عندما توسل اليه "ابو فاضل" ليتركه :

إنك تصون نفسك من صفات العرب ، وأحس بالفزع والاشمئزاز إزاء هذا الجسد الكبير الذى ركع أمامه على الأرض وأبناء أسرته من ورائه عند الحائط وعندما أصر " شبيرا " على أن يمشى ــ قال له "ابو فاضل" :

"هه يا أفندى ، هه ياشبيرا ، إرحمنا وارحم أولادنا ، نحن لك، وكلنا لك إلى أين سترسلنا . إلى اين سترسلنى ؟ فلم يستجب له .

ثم يقول "موشيه" على لسان "أبو فاضل" وهو ينظر الى أولاده عندما تكرر استنكار " شبيرا " له .

"يلله ، وخبط على رأسه ، ومؤخرة أولاده . إذهبوا ، ماذا تنتظرون ؟ إذهبوا وابكوا أمامه ، إذهبوا واطلبوا منه ، إذهبوا وصلوا أمامه توسلوا اليه " .

ووصف موشيه شامير للعربى بهذا الأسلوب يأتى ضمن نطاق اهتماماته بدراسة الاتجاهات الاجتماعية والطبقية ومناقشة المشاكل القومية وانتقاد حياة الكيبوتس حيث يتضح من هذا الوصف المعاملة المهينة التى يعامل بها العربى من قبل اليهود .

وفى قصة "على سن الطلقة" ـ يقول "اسحق اورباز" على لسان الجندى الاسرائيلى بعد أن حكى له "ابراهيم عبد المحسن جامونى" قصته :

"إننى شعرت بالذنب على ما حدث لبيته وعائلته ، يالجهنم ، وربما هو يكذب ، هؤلاء الأذلاء معرفون بالكذب"

"واسحق أورباز" يقصد بالاذلاء هنا الفدائيين لأنه كان يعتقد أن ابراهيم عبد المحسن جامونى من الفدائيين ولذلك فانه جاء بهذا الوصف فى نطاق حملة التشويه التى يشوهون بها صورة العربى الفلسطينى .

أما "حاييم هزار" فيصف "ابو يوسف" ـ فى قصة "ابو يوسف" ـ عندما وجد المسجونين يتحدثون بعضهم مع البعض الآخر قائلا :

"وما أن عادوا إلى السجن . جاء "ابو يوسف" ـ ووقف أمامهم كالشحاذ" ومن هذا الوصف يتضح مدى الحالة المهينة التى يعيش فيها العرب . فعلى الرغم من أن أبا يوسف يعمل حارسا بالسجن إلا أنه يتعامل مع المسجونين وكأنه شحاذ . وفى قصة "البدو الرحل والثعبان" يصف "عاموس عوز" البدوى عندما حاول أن يضرب أغنامه ، ومنعته جئولا عن ذلك فيقول:

"إمتثل البدوى فى إذعان تام ، ورمى الحجر من يده .

ويصف الأغنام قائلا :

"وبراعم حيواناتهم مهلهلة مكتظة ، تحتمى كل واحدة فى الأخرى، وتتجمع فى شكل كتلة ترجف صامته هادئة كزعاتها الخرس ... وعندما تعبر الحقول فمن شأنك ان تصطدم بقطيع خامل ملقى فى مكانه وقت الأيلولة ، وكأن أرجلها مغروسة فى الأرض الجافة ، وفى الوسط نام الراعى كحجر البازلت .

ثم يصف البدوى عندما كان واقفا وراء جئولا بين الحقول فيقول :

"البدوى واقف خلف جئولا صامتا كالضباب ، يحرك إيهام قدمه فى التراب وظله ساقط أمامه .

ويتضح من هذه الاستشهادات الاتجاه الأدبى "لعاموس عوز" فهو يتخذ الرمزية منهجا أدبيا له ولذلك شبه الرعاة مرة بالخرس، وأخرى

بحجر البازلت ، وثالثة بالضباب ، وكل ذلك يعكس حالة الاستسلام ، والمذلة التي يعيش فيها البدو .

د ـ القذارة والتفاهة :

كانت القذارة والتفاهة من بين الصفات التي وصف بها الكتاب الإسرائيليون العربي الفلسطيني . وقد شاعت هذه الصفات على النحو التالي :

١ـ وصف الأدباء العربي الفلسطيني بأنه قذر ، ومقيت ، وجيفة ، ووقح ، ونتن وحقير يثير الغضب وانقباض النفس وذلك حتى يبرروا لأنفسهم ممارسة العنف ضده بهدف اتقاء شره ، ففي "خربه خذعة" يقول س . يزهار على لسان أحد الضباط الإسرائيليين موجها حديثه الى جندى إسرائيلي ليتصرف مع العربي الذى كان يقف عند البئر .

"أوخز النذل فى مؤخرته قليلا ، فليتزحزح قليلا ، فليتزحزح هناك ذلك القذر"

ويعبر "يزهار" عن شعوره بالوحدة فيقول :

"كان من الأفضل لو أننى تركت كل شيء فى تلك اللحظة وذهبت الى المنزل . المعارك والعمليات ، والمهام كلها كانت غريبة عنى ، وكل أولئك العرب القذرون ، المتسللون لاحياء نفوسهم القاحلة فى قراهم المهجورة ، أصبحوا مقيتين ، مقيتين الى حد الغضب .

ويصف القرية بعد أن أصبحت خاوية وخربة فيقول :

"يتحرك فيها تجهم كريه ، كنوع من الشفقة على متسول ، ومشوه، وقذر ، لايثير إلا الغضب ، وانقباض النفس لاحل له إلا أن تتخلص منه وأن تنتزع نظرة غاضبة وتقذف بها هذه القرية .

ويقول عندما صوب "جابى" مدفعه الرشاش تجاه العربى الذى حاول الهرب بعد أن خرج من باب أحد الأسوار الطينية :

"صوب جابى المدفع الرشاش نحوه بدقة وهو يقول لنا : إنه يوحى بأنه قذر" .

كما يقول على لسان جابى بعد أن أمسك بذلك العربى وبدأ فى استجوابه :

"إنه يوحى بأنه قذر ، عاد جابى وكرر مشيرا اليه بابهامه.." جيف

لابد أن ذلك الحقير يضمر شيئا .

ويصف السائق ومساعده وهما يضعان العرب فى الشاحنة فيقول

كان السائق ومساعده قد وقفا هناك يستحثان الصاعدين ، فيمـــدان يدا لهذا ويدا لذلك ، يساعدانه بدفعه ، يقولان كلمة لفلان، يعقبان علـى ذلك السمين ، وذلك القذر الكبير قطعا .

ووصف العربى هنا بأنه قذر ومقيت وجيفة ونتن وحقـــير جـــاء ضمن سلسلة الأوصاف التى حاولت السلطات الاسرائيلية أن تغرسـها فى وجدان الجندى الاسرائيلى تجاه العربى حتى يقوم بتنفيذ أوامرهـــا من قتل وطرد دون تردد .

وفى قصة "صفية المسيحية" يصف "أشر بـــراش" صفيـــة عندمـــا خرجت من المنزل وهى منفعلة وتجرى وراء أخيها فيقول:

"وقفت فجأة كالمذهولة ، وفورا بدأت تتحدث بالألمانية . إنه أخـــى كلب قذر عربى حقيقى ، إنه أهاننى .

واختار "أشر براش" لأن يكون وصف العربى بأنه قذر هنا علـــى لسان صفية شقيقته يعطى إيحاء بأن هذه الصفة شائعة عنهم لدرجـــة أنهم هم الذين يصفون أنفسهم بذلك .

أما "ناتان شاحم" فيصف أحد الشباب العرب فـــى قصـــة "تـــراب الطرق" قائلا :

"شاب نحيف قذر ، ولكن كتفيه عريضتان ، وعلى رأســـه قبعـــة عسكرية قديمة" كما يصف الشباب العرب عندما كانوا يصعدون علـــى العربة ويلعقون المربى فيقول :

"كانوا يقفزون على العربة ، ويلعقون المربى التـــى تسـيل علـــى حروفها ، كان كفتورفيتس يقذفهم بالشتائم ، ويهددهم بالسوط ، ولكنهم التصقوا بالعربة كالذباب .

ثم يصفهم مرة أخرى قائلا :

"كانوا يجرفون بأصابع قذرة الطين العكـــر مـــن فـــوق العربـــة ويضعونه فى أفواههم" .

ويقول على لسان كفتوروفيتس عندما كان يسير بعربته :

"هناك مكان يعكر الصفو ، والجميع سيعبرون بسلام إذا لم يتحرك

عربى قبيح ويفعل شيئا"

ووصف شاحم للعرب بهذه الصفة فيه تبرير لضربهم بالسوط، فوصفهم بالقذارة ثم تشبيههم بالذباب يعنى أنهم يشكلون خطورة على المربى التى يحملها ولذلك فإن ضربهم كان بهدف تجنب هذه الخطورة .

٢ـ وصف العربى الفلسطينى بأنه تافه : وذلك بهدف تغييبه عن أرضه ووطنه وجاء هذا الوصف إما صراحة أو فى صورة استعارية حيث شبه بالأشياء الصغيرة التافهة مثل النمل ، وأسراب الدجاج ، والتماثيل الصغيرة .

ففى قصة "خربة خزعة" يصف " س . يزهار" العرب وهم يجرون بين الحقول فيقول :

"هناك أيضا زأر أحدنا وهو يشير إلى حقل آخر كانوا يركضون فيه كالنمل ، أشباح كثيرة ، كان اندفاعهم يتبدد أكثر كلما كان الحقل أكبر" .

كما يصف أحد الجنود وهو يسوق العرب أمامه خارج القرية فيقول :

"يده الأخرى تستحثهم على الخروج كما لو كان يهش سربا من الدجاج" . والوصف هنا يبين مدى الاستهانة بالعرب الفلسطينيين وأنهم مجرد مخلوقات تافهة سرعان ما تتبدد وتزول.

أما "يوسف أريخا" فيصف الراعى فى قصة الرسام والراعى ـ قائلا :

"نهض كشىء مهمل ، توجه متسلقا الصخر هادئا لينادى الرسام" .

ووصف الراعى هنا بأنه شىء مهمل يهدف إلى تغييبه عن أرضه وإعطاء الحق للرسام فى تخطيط هذه الأرض والاستيلاء عليها كما حدث من قبل .

وفى قصة "البدو الرحل والثعبان" يصف "عاموس عوز" البدو عندما يمر عليهم شخص فيقول :

"وعندما تمر من أمامهم بجرار يعج بالضجيج عليهم أعمدة من التراب فتجدهم يجمعون بهائمهم برقة ويفسحون لك ممرا أوسع مما

تريد ويتطلعون إليك من بعيد وكأنهم تماثيل صغيرة ".
هذا الوصف فيه كناية عن تفاهة البدو ويهدف أيضا إلى تجاهلهم .
هـ ـ مثل الحيوانات :
جاء وصف العرب بالحيوانات ضمن سلسلة الأوصاف التى روجها الأدباء الاسرائيليون فى كتاباتهم عن الشخصية العربية الفلسطينية بهدف تحقيرها ومعاملتها معاملة بهائمية .
ففى "خربة خزعة" يقول "س . يزهار" على لسان جابى وهو يوجه حديثه إلى أحد العرب :
"توقف أيها الكلب صرخ فيه جابى ، وأطلق عليه الرصاص فوق رأسه"
كما يصف العرب وهم يسيرون فى بركة الماء قائلا :
"وكان ثمة من انحنى من بينهم متنهدا ، ثم خلع نعليه من قدميه وراح يقطع الماء . لم أعرف لماذا بدأ المشهد بالغ الإذلال والاحتقار كالحيوانات فكرت كالحيوانات" .
وعندما تقدمت المرأة المسنة وهى تحمل طفلتها الرضيعة الهزيلة وترقصها أمام الجنود الاسرائيليين أملا فى أن يتركوها ، صرخ فيها أحد الجنود وأمرها بأن تسير مع بقية الناس وهنا قال "سميلانسكى" على لسان " يهودا " :
إنهم كالحيوانات : قال يهودا شارحا . فلم نعقب بشىء " .
والوصف هنا يعبر عن مدى احتقار اليهود للعرب ، واستهتارهم بهم وإهانتهم لهم . وفى قصة " صفية المسيحية " يصف " أشر بواش " صفية عندما كانت تتشاجر مع أخيها فيقول:
وقفت فجأة كالمذهولة . وفورا بدأت تتحدث بالألمانية : إنه أخى ، كلب قذر ، عربى حقيقى" .
"وأشر براش" يقصد بهذا الوصف عدم احترام المجتمع العربى لنفسه واحتقاره لذاته مما يعمل على تشويه صورة العربى أمام القارىء .
أما فى قصة " تراب الطرق" فيقول ناتان شاحم" ـ على لسان كفتوروفيتس ـ لزميله "إلياهو" عندما أوقف كفتوروفيتس العربة فى

السوق ونزل ليشترى بعض الطعام .
"إنهم مثل الكلاب ، يرون أنك تفكر كثيرا فيهاجمون ، وحينما نضربهم ضربة قوية فإنهم يهربون" .
ووصف العرب بالكلاب هنا جاء تشجيعا "لإلياهو" ليقوم هو أيضا بضربهم بالسوط كما يفعل كفتورفيتس .
وفي قصة "على سن الطلقة" يتحدث "إسحق أورباز" عن "إبراهيم" عندما ذهب ليخطب الفتاة التى أحبها فيقول :
"ذهب يطلب يدها ولكن أباها طرده مثل الكلب" .
وهنا أيضا كما كان فى قصة صفية المسيحية "لاشر براش" نجد أن الوصف جاء إظهارا لعدم احترام المجتمع العربى لنفسه واحتقاره لذاته ، ونفس الشيء نجده فى قصة "أبو يوسف" حيث يذكر "حاييم هزار" على لسان "أبو يوسف" وهو يوجه كلامه إلى المساجين بعد أن قص عليهم قصة الرجل الذى عطف على الكلب فأثابه الله على ذلك :
"أنهى أبو يوسف كلامه وقال : ولكن أنتم يا أولادى : إعطفوا على كلب مريض مثلى حتى تنالوا عطف العالم الآخر" .
ثانيا: القيم الدينية
لقد اتضح مما سبق أن الأدباء الاسرائيليين (١٩٤٨ـ١٩٦٧) قد اهتموا فى كتاباتهم القصصية بتناول السمات الخارجية للشخصية العربية الفلسطينية بشقيها : الصفات الجسدية ، والملابس . كما اهتموا كذلك بتصوير طبائع هذه الشخصية ، وأن هذه الجوانب قد حظيت بنصيب وافر من التركيز على التفاصيل الدقيقة لها .
ومن الجدير بالذكر أن كتابات هؤلاء الكتاب لم تخل من بعض الاشارات الى القيم الدينية لهذه الشخصية رغم أن معظم هذه الاشارات لاتحمل فى مضمونها مغزى معينا ، وأنها وردت لتكملة البناء الفنى لهذه الكتابات ، وفيما يلى سنقدم تحليلا لهذه الاشارات من خلال النماذج القصصية المختارة وذلك من خلال نقطتين رئيسيتين :
١ـ الصلاة ودور العبادة ، والحج
حيث نجد " س . يزهار " يتحدث فى قصة "خربة خزعة" عن العرب الذين جمعوهم تحت الشجرة تمهيدا لنقلهم خارج القرية فيقول

"كان ثمة من جلسوا وتمايلوا بظهورهم كما لو كانوا فى صـــــلاة، بينما دحرج أخرون سبحات العنبر العلية بشـــكل عـــام ، أو مجـــرد سبحات سوداء وهناك من كتفوا أيديهم الكبيرة الخشنة ، أيدى فلاحيـن على صدورهم .

ومن هذا الاستشهاد يلاحظ أن الأدباء الاسرائيليين لم يكتفوا بتشوية السمات الخارجية وطبائع الشخصية العربية الفلسطينية ولكنهم ذهبـوا الى أبعد من ذلك واستهزأوا من حركات الصلاة .

وفى قصة " الحاج ابراهيم " يصف براش تصرفات ابراهيم فيقول:

"وفى يوم الجمعة ، وبعد أن يعود من الصلاة بالمسجد فإن الشـــاب الصغير (ابنه أو حفيده ، وربما يتيم غريـــب) يحضـــر عـــددا مـــن الكراسى من الأماليد المجدولة للحـــاج وضيوفـــه وثـــلاث أو أربـــع نرجيلات ، ومعها جمرات نارية" .

وهذه الإشارة جاءت لتكملة البناء الفنى للقصة وإن كانت تدل على أن "أشر براش" لم يستطع اغفال الجانب الدينى عند العرب.

أما "ناتان شاحم" فيصف القرية فى قصة "تراب الطرق" قائلا:

"الجبال تقترب رويدا ، قرية عربية كبيرة ، هناك عنـــد صخـــرة الجبل بمفردها ، ويوجد مسجد فى الوسط ، والبيـــوت مـــن حولـــه ، بساتين محاطة بأسوار ، ورائحة دخان ، وقطعان من الماعز .

والإشارة إلى وجود مسجد فى القرية ووصف بقية الأشياء نســـبة اليه دليل على أنه من المعالم الرئيسية فى القرية ، وهذا يعكس اهتمام العرب بدياناتهم وان كان الكاتب قد أورد هذا مـــن خـــلال الوصـــف ولايقصد ذلك .

وكما كانت هناك إشارة إلى الصلاة ودور العبادة ، كـــانت هنـــاك إشارة أيضا إلى فريضة الحج حيث يتحدث " أشـــر بـــراش " عـــن "ابراهيم" فى قصة الحاج إبراهيم فيقول :

لقد حج مرة إلى مكة المكرمة ، ومنذ ذلك الوقت يسمى بالحـــاج ، وهو يبيع الآن خضراوات من حديقته ، ومن مزرعته .

وهكذا نلاحظ أن أشارات الكتاب فيما يتصل بمجال العبادة تقتصـــر

على المظاهر الخارجية فقط دون الاشارة الى الخشوع أو الفضيلة رغم أن الصلاة تدعو إلى الخشوع ، والحج يدعو الى الفضيلة بما يعكس جهل هؤلاء الكتاب بديانة عرب فلسطين .

٢ـ القرية :

يصف " س . يزهار" فى قصة "خربة خزعة" العرب الذين كانوا مكدسين تحت الشجرة فيقول :

جمهور واحد صامت ويراقب بعيونه كل ما يحدث ، وبين الفينة والأخرى كان ثمة من تأوه منهم ويقول : آخ يارب .

ثم يصف مجموعة أخرى من العرب قائلا :

"بينما راح آخرون يفككون أعواد القش والعشب بأيديهم لمجود أن يفعلوا شيئا ما وعيونهم جميعا تتجول معنا وتتعقب كل حركة لنا ، ولايقولون شيئا سوى تلك التنهيدة التى تطلق بين الحين والآخر : آخ يارب .

كما يصف عربيا بعد أن رفض الجنود الاسرائيليين توسلاته فيقول: ثم عاد وجلس فى مكانه ببط وهو يتنهد قائلا : لا إله إلا الله .

وهنا نرى أن "يزهار" يحاول أن يرجع روح التدين والرجوع الى الله لدى العرب الى عجزهم أمام المواقف المختلفة، ويبدو أن هذا المفهوم كان شائعا لدى الكتاب الاسرائيليين لأننا نجد أن أكثر من كاتب خلال الفترة موضوع البحث قد أشار إلى هذا المفهوم .

ففى قصة الحاج "ابراهيم" يقول "براش" على لسان إبراهيم:

الله فقط هو الذى يعرف ، هو الذى أحضرنا الى هذا العالم وهو الذى سيأخذنا منه .

وفى قصة "على سن الطلقة" يشير "أشر براش" إلى الحديث الذى دار بينه وبين "ابراهيم عبد المحسن جابونى" فيقول :

"وحكى لى إبراهيم أن أخاه قتل أثناء حرب اليهود مع العرب، وهذه إرادة الله أن يموت أخوه وينتصر اليهود ، وهو نفسه ليس لديه أى شىء عكس ذلك، هو نفسه نزح إلى القطاع فسألته وماذا بالنسبة للعجوز ؟ فقال إبراهيم : لقد مات هو أيضا، وحكى أن أباه لم يرغب فى أن يترك مكانه وقال فى هذا الصدد: إن أبى وجدى ولدا هنا ،

وماتا هنا ، إنني سأبقى والله يفعل ما يريد .

وفي قصة "ابو يوسف" يحكى حاييم هزار ما حدث بين "الياهو" و"ابو يوسف" عندما أخبر "ابو يوسف" الياهو بأنه يملك أرضا وبساتين فيقول :

"صفعه" "الياهو" على وجهه وقال له : أتركت كل هذا وجئت لتكون شرطيا فى السجن ، فقال له أبو يوسف : لايوجد رزق ياحبيبى فالأرض قاحلة والرب لم يرسل بركته .

وهكذا نرى أن الأدباء الإسرائيليين أرادوا ترسيخ فكرة أن العرب الفلسطينيين لا يستطيعون مواجهة المواقف المختلفة، وليست لديهم القدرة على اتخاذ القرار .

الفصل الثانى
وصف الطبيعة والأعمال التى يقوم بها العرب

المبحث الأول
وصف الطبيعة

إن وصف الطبيعة فى الكتابات القصصية يضفى دائما لمسة رومانسية عليها ويعطى للقارىء فرصة للترويح الذهنى من عناء ملاحقة الأحداث ، ونظرا لأن الطبيعة الفلسطينية لها أهمية خاصة عند اليهود على أساس أنهم كانوا ينظرون اليها على أنها المرتع الذى يستنشقون فيه هواء الحرية النقى بعد الانعتاق من قيود التاريخ اليهودى ، ومن المنفى ومن كل الآلام الانسانية ، والعالم الذى يحيون فيه حياة نظيفة كريمة بعد فترة الحياة فى الجيتو وما كانوا يعيشون فيه من ضيق وقذاره وانغلاق ـ فإن الأدباء الاسرائليين قد أطنبوا فى وصف هذه الطبيعة وتمسكوا بأهدابها وبالغوا فى تعلقهم بها بهدف إثبات جذريتهم، وفى محاولة منهم تعكس بوعى أو بدون وعى ارتباطهم النفسى والوجدانى بل وربما التاريخى أيضا بكل رموز هذه الطبيعة.

فرغم اعترافهم بأن الطبيعة فى الأرض الفلسطينية جميلة وتنطق بالخضرة وتمتلىء بالبساتين وتظهر عليها الشمس مشرقة بأشعتها الذهبية ويسطع القمر فى لياليها وتنتشر فيها الورود والأزهار أشكالا وألوانا فإننا نستطيع أن نتلمس الدوافع الكامنة وراء هذا الوصف للأراضى الفلسطينية . إذ يرون فيها جنتهم الموعودة التى لابد من أن يحيوا فيها ولايعقل أن تكون أرضا بهذا الأمل أقل روعة فى خيالهم من هذه الأوصاف علاوة على أن الوصف يكون بمثابة الدعاية ليهود المهجر لينجذبوا إلى هذه الأرض . ورغم هذا الحب والخيال الجارفين للطبيعة الفلسطينية فإن تشويههم وتحقيرهم لصورة العربى الفلسطينى لم يلبث أن امتد إلى الطبيعة نفسها لمجرد أن يد العربى امتدت اليها ففى الوقت الذى نراهم فيه يسهبون فى وصف الطبيعة فإننا نجدهم يصفون القرى العربية التى تشغل حيزا من هذه الطبيعة بأنها مقززة،

ومجرد قرى متناثرة على قمم الجبال لافن فى بنائها، ولانشاط فى حياتها، ولابساتين فى أفنائها بل لاتحتوى ـ كما يصفون ـ إلا على بعض من أشجار الفاكهة في أروقة بيوت قذرة مبنية بالطوب اللبن .

ومن هنا ، كان الحرص على إبراز هذا الجانب من خلال النماذج الأدبية المختارة لأبين كيف يرى الأدباء الاسرائيليون الطبيعة الفلسطينية وذلك من خلال خمس نقاط على النحو التالى:

١ـ الطبيعة ساحرة وجميلة :

يصفه "يوسف حنانى" فى قصة "مزمار أحمد" قائلا:

"فى ظل إحدى الأشجار على شاطىء نهر اليرقون أشرق على يوم صيفى بكل بهائه وسطوعه. جلست على ضفة السيرقون، وضعت قدمى فى المياة الدافئة، واضطجعت بكل جسمى بين الأضواء والظلال التى تتحرك كالفراشات، وتركت نفسى لتموجات الرياح المليئة برزاز المياه وأشعة الشمس ، اضجعت وكنت بين النوم واليقظة أسمع تموجات المياه المتدفقة التى كانت ترن فى أذنى وكأنها نغم ساحر، خوار بقرة من بعيد، ثغاء الجمال، الأضواء والظلال ـ كل هذا امتزج بعضه مع البعض الآخر، وخيل إلى أننى ملكت قلب العالم كله " .

و يتحدث "يوسف حنانى" هنا عن الطبيعة حديث المستمتع بكل ما فيها من ـ جوها البديع ومياه أنهارها الدافئة ، وهذا ليس بغريب على "يوسف حنانى" فهو قاص واقعى يصف الحقائق بكل تفاصيلها ويتميز فى كتابته بالدقة فى التصوير والقدرة الفائقة على التعبير، ومحاولته تصوير الواقع بكل دقائقه.

٢ـ الأراضى خصيبة وتنتشر فيها البساتين وأشجار الفاكهة:

يبدأ "سزيزهار" قصة "خربة خزعة" واصفا الطبيعة فيقول:

"يمكننى أن أبدأ القصة وفق تسلسلها . يمكننى أن ابدأ بأحد الأيام المشرقة ، أحد أيام الشتاء الصحوة ، وأن أدقق فى وصف الانطلاق والرحلة حيث كانت الطرق الترابية مروية بأمطار اليومين الأخيرين، والأسيجة الشجرية المحيطة بالبيارات التى كانت داكنه ورطبة ".

ثم يصفها أثناء تقدم فصيلته لمهاجمة القرية فيقول:

"كانت هذه الفصيلة تتقدم في منطقة مجهولة ، وتوغل في الوجـود المغتسل المطهر للحقول ، في هواء ناعم ونقى ، وفى حقول كـــروم بعضها محروث قبيل المطر وبعضها معشوشب (فى أعقاب المطـــر الأول) وجميل أن تغوص فى الشعاب الطينية الزلجة من ماء راكـد ، وأوحال رخوة".

ويقول عندما أوشكت الفصيلة على دخول القرية :

"وتبين لنا وفقا لذلك أن البيوت القليلة التى تلوح فى منحدرات تـل آخر هى خربة خزعة ، وأن كل البيارات والحقول من حولنا مـــاهى إلا ملك لتلك القرية ، وأن مياهها الوفـــيرة ، وأرضــها الخصبــة ، وزرعها الرائع ، كان قد ذاع صيتها كما ذاع صيت أهلها " .

ويصف بعد ذلك المناطق المحيطة بالقرية فيقول :

"وحين أمعنا النظر فى تلك البيوت القليلة الواقعة خلف ذلك التـــل غير المرتفع تفصلنا عنها الأشجار والبساتين الوارقة ، وآبـــار الميـــاة المتناثرة هنا وهناك اكتشفنا انه لاتوجد مشكلة فى " خربـــة خزعـــة " كلها ، وأنها لا تستوجب أى توسيع آخر فى الشرح فعلا، وفى الناحية المقابلة كانت ثمة أشجار جميز متفرقة طاعنة فى السن ومقفرة ، لـــم يعد بها تقريبا مايمت للنبات بصلة سوى أنها نبات ضخم ثم عاد أحدنا بعد ذلك ببرتقال فأكلنا ، وحينئذ اتجـــهنا منحدريـــن وســـط خطــوط محروثة مبللة رمادية لم يسعفهم الوقت لزرعها " .

كما يصف الأراضى الزراعية بعد أن خرجوا من القرية فيقول :

"سرنا فى أحد الأزقة المتعرجة ، وما أن انتهينا من التجول فيـــها حتى كنا قد انتهينا من القرية ، وانفتحت أمامنا مروج مخضوضـــرة ، مسيجة بعدد من أشجار الأثل ، يليها سياج لقطعة أرض محروثة" .

وهنا نجد أنه على الرغم من اعتراف سميلانسكى بجمال الطبيعـــة ووصفه لدقائقها إلا أنه عندما امتد وصفه ليشمل الأراضى التى امتدت اليها يد العربى نجده يصف زرعها بالجدب والقفر وذلك ليثير حميـــة الجنود الاسرائيليين ضد العرب عندما يحسون بأن هؤلاء العرب هـــم السبب فى تشوية صورة الطبيعة الجميلة .

وفى قصة "الكنز" يصف "أهارون ميجد" الطبيعة عندمـــا توقـــف

"سليمان" ونظر تجاه الطريق فيقول :
"توجد ظلال كثيفة ومتراكمة بين أشجار الرمان والخوخ "البرقوق"، يبدو أنها لم تقطف . يمكن أن تأتى ذات ليلة ومعك حقيبة وتملأها بالخوخ .
كما يصفها و"سليمان" يتأمل الأراضى المحيطة بالطريق المؤدية إلى المنزل متمنيا أن يعود اليها ويزرعها كما كان يزرعها من قبل فيقول :
"إنها أرض ممتازة . أخذ حفنة تراب من الطريق ونفخها بين أصابعه فتطايرت وتساقطت الى أسفل . أرض ممتازة ، يابسة ، جافة، لعق يده وصعد الى أعلى الهضبة . لقد كانت شجرة الجميز على جانب الطريق ذات فروع كثيرة" .
وهنا نجد أنه على الرغم من استرسال الكاتب فى وصف الطبيعة فإن حب العربى لأرضه وتعلقه بها وتذكره لما كان عليها قبل مجىء الاسرائيليين قد برز فى مخيلة الكاتب وألح على ذاكرته فثبته بقلمه على لسان العربى .
وفى قصة "تراب الطرق" يصف "ناتان شاحم" الأراضى المحيطة بالقرية قائلا :
"حقول واسعة ممتدة حتى الجبال شرقا وإلى الحدائق فى مستعمرة بتاح تكفاه ارتفعت أشجار النخيل من تحت حدوة الفرس وغطت شارب كفتورفيتس وحواجبه انتهت الطريق بالرمال . أرض مخضوة سوداء فى موسم الحراثة وبيضاء فى موسم الحصاد تزين الطريق أشجار شائكة فارعة الطول كقرنى الغزال غرست على جانبى الطريق مغبرة بالتراب ، الأرض تدندن لريح الظهيرة، أشجار الموالح تتزاهى وهى واقفة فى حيوية جميلة ، وقوية على الأرض الفسيحة المسقفة" .
وهنا يتضح مدى اتقان " ناتان شاحم " لوصف أشجار الموالح الباسقات حيث استعار من الطبيعة الغزال وأخذ منه صفة الرشاقة وأضفاها على سيقان هذه الأشجار .

٣ـ عدم إهمال العرب لأرضهم :

حاول الاسرائيليون إثبات أن عرب فلسطين لايهتمون بأرض فلسطين ، ولابزراعتها وذلك فى محاولة منهم لإضفاء الشرعية على احتلالهم لهذه الأرض ، وتمثل هذا فى إطار مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" إلا إن الأديب الإسرائيلي عندما كان يتطرق لوصف الطبيعة كان يصطدم بالواقع الحى ـ سواء بوعي أو بغير وعى ـ الذى لا يمكن لأحد أنكاره ، وهو أن الفلاح الفلسطينى كان مرتبطا بأرضه ، وكان حريصا على زراعتها وعلى أن يجعلها جنة خضراء وهى تلك الجنة التى تشهد بها أوصاف هؤلاء الأدباء حيث يصف " س . يزهار" فى "خربة خزعة" الأراضى المحيطة بالقرية والجنود الإسرائيليين يراقبونها من فوق التلال فيقول :

"ومن تحتنا كانت الأرض مقسمة بالأسيجة الشجرية الى مربعات واسعة وضيقة منقطة هنا وهناك ببقع خضراء داكنة ، وهنا وهناك مكورة بقمم الأشجار القروية وبالتلال الموشاه بزهر "الصغي" على الأرض وبالنسائم المحروثة هنا وهناك ـ كان السهل مفروشا بالسكينة ولايخجله شىء ، ولاأثر لأدمى على الأرض ونشيد أرض خصبة يرنم بالأزرق والأصفر والبنى والأخضر وبكل ما بينها ، تستدفىء فى شمس ما بعد المطر ، ترنو الى النور" .

كما يبدأ "يزهار" قصة الأسير واصفا الرعاة وقطيعهم والأراضى التي يرعون فيها فيقول :

"بعد أن كان الرعاة وقطيعهم مهملين بين الصخور الحجرية، بين أوراق أشجار الزيتون ، بين الجحور ومنزلقات الجبال ، وأيضا بين الوديان الجميلة المزيدة بالأضواء مع أضواء الذرة القوية، ذات السيقان الذهبية الخضراء الصيفية ، وحيث التراب تحتهم فى كتل طينية مثل الجوز ، الذين أزالوا القمح الجميل على بعد قدم مع رائحة الأرض القديمة بثمارها وطيبها ـ بعد أن كانوا متشتتين بين المنحدرات والأودية المليئة بقطيع الغنم ، وتطل من قمم الجبال أشجار الزيتون المظلة فى صورة واحدة هنا وأخرى هناك ـ اتضح أنه لايمكن الغوص فى الداخل بدون إثارة المشاعر ، وما سيطر الآن هو

ذوق الدورية ، جلسنا على الحجارة لنستريح فترة ما ، ولنجفف في ضوء الشمس العرق المتصبب . كل شيء كان ينطق بالصيف مثل معدن الذهب معمعة الذهب وحقول الذهب ، الذرة المورقة الصفراء ، التلال واخضرارها ، أشجار الزيتون وشحمتها الجميلة" .

وعندما تخيل سليمان في قصة "الكنز" أنه سيقابل رئيس الحكومة ويطلب اليه أن يعطيه جزءا من الأراضي التي كان يمتلكها في "خربة جامون" ــ يقول "أهارون ميجد" على لسانه :

"أنا يعني ، يوجد لي هناك في القرية ٤٢ دونما ، أرض طيبة، زيتون ورمان ، وأرض زراعية تدر محصولا طيبا ، لايوجد مثلها في القرى كلها حقيقة إنها طيبة" .

كما يقول على لسانه مرة أخرى عندما كان يتحدث مع إبن عمه :

"سأزرع ذرة في الجزء المجاور لبستان كامل ، وسأزرع جزءا تبغا خلف الجزء المزروع زيتون ، دونمان تبغ ، وتسعة دونمات حلبة وبيقة "نبات علف" ، وهنا وفي قصة "تراب الطرق" يصف ناتان شاحم الأراضي المزروعة على جانبي الطريق الذي كان كفتورفيتس يسير فيه فيقول :

"وعلى جانبي الأشجار الشائكة ، أراض زراعية مخططة ، وقمح ذهبي اللون ، سيقانه مستسلمة لليقطين المنزلق ، وأحواض الذرة الخضراء" .

٤ـ القرى العربية مهجورة ومعزولة على قمم الجبال :

يصف " س . يزهار " القرى في قصة " خربة خزعة " عندما كان موجودا في السهل يستعد مع زملائه للهجوم على القرية فيقول :

"العرب القذرون المتسللون لإحياء نفوسهم القاحلة في قراهم المهجورة ...أي دخل لنا ، ولشبابنا ، وأيامنا العابرة بقراهم المقملة ، والمبقة والمقفرة ، والخانقة ... هذه القرى الخاوية سيأتي اليوم الذي تبدأ فيه في الصراخ ... وفي عز الظهيرة أو قبل الغروب تبدأ القرية التي كانت قبل لحظة مجرد نسيج أكواخ مقفرة ، يلفها صمت اليتيم ، صمت قاس ونحيب جنائزي يقطر القلب ، تبدأ هذه القرية الكبيرة البائسة وتغني نشيد الأشياء التي فارقتها روحها" .

ثم يصف القرية وأزقتها فيقول :

"والآن حينما كنا نتوغل منحدرين فى مهبط أحد الأزقة داخل القرية مستغربين إذا ما كان عرضه سيتسع لسيارة جيب ، ومتأهبين لكل المفاجآت التى قد تحدث وكان صمت القرية يعود فيوغل فى السكون" . ...

كما يصفها عندما قابل هو وزملاؤه سبعة من أبناء القرية يسيرون معا فيقول :

"الزقاق المتعرج ، وأسوار الأحواش المطينة بالطين المخلوط بالتين ، والمتراصة بأعواد القصب المكدسة بأطوالها المتفاوتة ، والتى كانت تفوح ببقايا من شذى صيف (هه ، صيف بعيد) رائحة القرية الرطبة ، وضجيج صمت الخرائب" .

بدت كلها غريبة ، وخائفة ، وتافهة .

ونلاحظ هنا أنه على الرغم من أن "س.يزهار" قد بالغ من قبل فى وصف جمال الطبيعة فإنه قد تناسى ما ذكره ، وبالغ فى وصف قبح القرى العربية وذلك حتى يبرر ما سيحدث بعد ذلك من إبادة القرى المتخلفة .

أما فى قصة "الكنز" فيصف "أهارون ميجد" القرية التى تقع على صخرة التل قائلا :

" تقع القرية على-صخرة التل . حيث يقع منزل العمدة والمزبلة والميدان ، والشارع وكذلك البقال " .

وفى قصة "تراب الطرق" يصف "ناتان شاحم" الطريق الذى كان يسير فيه كفتوروفيتس فيقول :

"الجبال تقترب رويدا رويدا ، قرية عربية كبيرة عند صخرة الجبل تقف بمفردها" .

ويتضح من هذين الاستشهادين شيوع فكرة وجود القرية العربية معزولة على قمم الجبال لدى الأدباء الإسرائيليين على أساس أن وجودها فى المناطق الزراعية سيشوه هذه المناطق بطبيعتها الساحرة كما أن هذه الفكرة تؤكد ما أشار اليه "س.يزهار" فى قصة "خربة خزعة" من وصف القرى العربية بأنها مهجورة وخاوية ، ومعزولة .

٥ ـ المنازل مبنية بالطوب اللبن وبداخلها أكواخ طينية وبعض الأشجار :

يصف " س . يزهار" في قصة "خربة خزعة" أحد منازل القرية أثناء إطلاق النار عليه فيقول :

"وثمة من يتوقف في البيت الطيني عن الأكل" .

كما يصف المنازل أثناء الاقتحام فيقول :

"تركل البوابة الصغيرة التي تتوسط البوابة الخشبية الكبيرة في أسوار الطين وندخل إلى الحوش المربع الذى يتوسط كوخا على ضلعها من هنا ، وكوخا آخر على ضلعها من هناك ، وأحيانا ، وحين تكون هناك سعة من المال ، وتكون الفرصة تواتى ، كان يبادر هؤلاء فيضيفون كوخا طينيا فوق سقف البئر، ثم يشيدون كرما أو كرمين ويقيمون لهما عريشة ، بل ويحضرون الحجارة الأسمنتية التى ليست في حاجة الى تبيض وان كانت أطرافها غير متقنة الصنع كلها على الأقل ، وشجيرات فلفل وباذنجان خريفية نبتت الى أسفل بين الأعشاب ، وتعفنت عند الصنبور ، ومخزن تراكم الغبار فيه فوق بيوت العنكبوت الجاذبة كما لو كانت دهنية ، جدران حرصوا على تزيينها بشتى الوسائل مسكن مبيض بالكلس واسع الأفريز مدهون بالأزرق والأحمر للزينة ، وفى أعلى الجدران أشياء صغيرة معلقة للتفاخر " .

ويصف بيوت القرية عندما توقف هو وزملاؤه فى ظل الجميزة قائلا :

"كانت القرية قد أصبحت مكشوفة من تحتنا أحواش ، بعضها بيوت حجرية وأكواخ طينية فى غالبها" .

كما يصف "أشر براش" منزل صفية فى قصة "صفية المسيحية" فيقول :

"لقد سكنوا منزلا حجريا منخفضا داخل فناء سور ، وبجانب مدخل الفناء كان يوجد شيء يشبه الكوخ" .

ويبرز من هذه الاستشهادات وصف الأدباء الإسرائيليين للبيوت العربية بأنها بناء لا فن فيه ولا إتقان لعلم العمارة . فهى مبان من

الطوب اللبن أو من الأحجار الأسمنتية التى ليست فـــى حاجـــة إلـــى تبييض حتى فى أطرافها غير متقنة القطع ، وإذا زرعوا بالقرب منــها فإنهم يزرعون بلا اهتمام ولا تطبيق علمى سليم لأصول الزراعة .

المبحث الثانى
وصف الأعمال التى يقوم بها العرب

كان الصهيونيون يرون أنه حتى ينجح الاستيطان فى فلسطين يجب تحديد موقف اليهود من أرضها الأمر الذى أفرز بدوره مايسمى بصهيونية العمل التى ترى أنه لابد لليهود من العمل فى الأرض الفلسطينية وفلاحتها حتى وان أدى ذلك إلى تحرك اجتماعى هابط وذلك من أجل الاستيلاء على هذه الأرض والسيطرة عليها.

ومن هنا تعمد اليهود إبعاد العرب عن مجالات العمل تحت شعار العمل العبرى "الذى كان يهدف إلى تجاهل وجود شعب أخر ـ غير اليهود ـ فى فلسطين، وكذلك إزالة جزء من الطبقة العاملة العربية فيها من أجل إنجاز برنامج الدولة الذى تبنته الحركة الصهيونية وهو الاستيلاء على العمل، والاستيلاء على الأرض . وتحت تأثير هذا الشعار طرد مبعوثو الصهيونية مئات العمال العرب من أماكن عملهم وفرضوا على من يمنحهم العمل من اليهود عقبات خاصة . من هنا اضطر العمال العرب إلى بيع طاقة عملهم فى السوق السوداء وكانوا دائما معرضين لخطر الطرد من أماكن عملهم. أما من تبقى منهم فإن أعمالهم انحصرت فى الأشغال الحقيرة التى لايقوم بها العامل اليهودى كالعمل فى المجارى والبناء وذلك نتيجة شعور اليهود بالتفوق وبأنهم أسمى وأرقى من الشعب الفلسطينى هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى نتيجة للمفهوم السائد لدى الإسرائيليين بأن العربى كسول ، وأنه لايمكن إسناد أى عمل صعب إليه لأنه ليس لديه الاستعداد ، ولا القدرة الذهنية أو الجسدية اللازمتين لأدائه لأنه لايستطيع إلا أن يؤدى العمل "بطريقة العربى" وهو تعبير شائع الاستخدام بعد أن صار جزءا من التراث فى إسرائيل ، فالمثل العبرى "عمل عبرى" يكاد يكون ترجمة حرفية لتعبير أداء العربى للعمل ويستخدمه الإسرائيليون للحط من قدر الشىء ولوصف أفظع درجات انعدام الكفاءة ، والافتقار الى المهارة فى أداء العمل .

وفى الحقيقة أنه عكس الاعتقاد السائد بأن مايجتذب المستوطن الصهيونى إلى فلسطين هو ارتباطه بالأرض وحياة الريف فإننا نجد

انه منذ العشرينات والمستوطنين اليهود يميلــون إلــى التجمــع فــى المناطق الحضرية . ففى عام ١٩٣١ كان ٥٤ % من اليهود يعيشــون فى المناطق الحضرية ، وفى عام ١٩٤٨ زادت هــذه النسبه إلــى ٧٤% أما الآن فإن نسبه اليهود المقيمين فى المــدن والمسـتوطنات الحضرية تصل الى ٩٠% وبالتــالى انضمــت مجموعــة الأعمــال المرتبطة بالأرض والريف إلى مجموعة الأعمـــال البسـيطة التــى يسندها اليهود للعرب على الرغم من تحذير المفكرين الصهاينة مـــن خطورة هذه الظاهرة . ولذلك ليس من الغريب أن نجد إشارة الأدبــاء الإسرائيليين إلى الأعمال التى يقوم بها العرب ــ فى النماذج الأدبيــة المختارة خلال الفترة موضــوع البحــث . منصبــة علــى نمطــى الشخصية اللذين حظيا بالوصف وهما : البدوى والفلاح ، وحتــى اذا تخطت الاشارات حدود هذين النمطين فانها لاتخرج عن الإطار العــام لهما . فاذا كانت الإشارة الى عربى يعمل فى مجال التجارة ــ نجــده يعمل فى تجارة الغلال الزراعية التى ينتجها الفلاح مــن الأرض ، أو أعمال القطف والانتقاء والتعبئة التى ترتبط بالزراعــة، وإذا كــانت الإشارة إلى عربى يعمل عملاً يدويا ــ نجــده لايقــوم إلا بالأعمــال الحقيرة المضنية والتى عادة لا يقوم بــها إلا الأعــراب البــدو فــى المناطق التى يتمركزون فيها.

وفيما يلى وصف للأعمال التى يقوم بها العرب الفلسطينيون كمــا صورها الأدباء الإسرئيليون فى النماذج الأدبية المختارة وذلــك مــن خلال أربع نقاط على النحو التالى:

١ــ أعراب ورعاة غنم :

يحدد "س . يزهار" فى قصة "خربة خزعة" على لســان مويشــى ــقائد الفصيلة ــ مصير العرب الموجودين خارج القرية عندما كــان يتحدث مع زملائه قبل الهجوم عليها فيقول :

"إعرابى واحد ينفجر ، وعشرة ينبطحون على الأرض" ويصــف على لسان "جابى" ، العربى الذى كان فى العربة الجيب عندما انتابتــه رجفة مفاجئة هزته من أعماقه فيقول:

"أى مريض ، قال "جابى" ، إنه سليم كثور ، إنه محتــال ، وهــذا

كل ما في الأمر ، ليس لهؤلاء الأعــــراب دم فـــى عروقــــهم علـــى الاطلاق" .

و"مويشى" يشير إلى أن العرب كلهم أعراب وذلك حتى يهون مـــن هول الكارثة التى ستحدث عندما يتم تفجير الألغام علـــى أســاس أن الأعراب البدو هم الذيـــن يشـــوهون الطبيعـــة ويلحقـــون الخســـائر بالأراضى الزراعية . والكاتب يؤكد نفس الفكرة على لســـان جنـــدى إسرائيلى آخر وهو "جابى" ، فرغم أن الأعرابى كان مريضـــا إلا أن "جابى" هون من هذا الأمر أمام صديقة "أريبه" وقال إن الأعـــراب لا يوجد دم فى عروقهم على الإطلاق، ولم يقف عند هذا الحد بل شـــبهه بالثور وبأنه محتال إمعانا فى تشويه صورته وتحقيرها.

وفى قصة "الأسير" يصف " س . يزهار" الرعاه فيقول:ـــ

"كان الرعاة وقطعانهم مهملين بين الصخور" .. كان يوجـــد بيـــن كل ذلك رعاه من بعيد يرعون غنمهم .

ويقول عن الأسير عندما أحضروه ليرعى الغنم أمامهم :

فتح عينيه وأخرج الأصوات المتداولة بينه وبين غنمه".. لقد كنـــا مستغرقين فى كل ذلك لدرجة أننا لم نتنبه لعدد من الرعاة الأخرين"

وإذا كان "يزهار" قد بالغ فى التهوين بالعربى بوصفه أعرابيا مـــن خربة خزعة فإنه يؤكد على نفس الفكرة تقريبا فى قصـــــة "الأســير" ويصورهم على أنهم أناس مهملون لايعرفون إلا لغة الحيوانات التـــى يرعونها.

وفى قصة "الرسام والراعى" يصف "يوســـف أريخـــا" مشـــاعر الرسام عندما مر عليه القطيع فيقول :

"ما أن مر القطيع حتى وقف الرسام مـــأخوذا بحـــب الاســـتطلاع الملىء بالحيرة ويتوقع الراعى الذى سيمر أيضا حتـــى يســـتطيع أن يستمر فى عمله بهدوء وأثناء ذلك اقترب الراعى" .

كما يصفها مرة أخرى و"ألونى" يراقب أعمال الراعى فى دهشـــة وتعجب فيقول :

"وكما يبدو أن نظرات الراعى المفروسة فى ظهره قد قويت جـــدا، وأحس ألونى أن هدوءه متوتر جدا ".

وهنا يريد "أريخا" إيضاح أن الراعى مصدر إزعاج للرسام الذى لا يستطيع مواصلة عمله بهدوء إلا بعد أن يمر الراعى لأن وجود هذا الراعى أطاح بحالة الهدوء النفسى التى كان عليها الرسام، وكذلك قوة التركيز التى كان قد وصل اليها .

وفى قصة "البدو الرحل والثعبان" يصف "عاموس عوز" تصرف السلطات الإسرائيلية تجاه البدو فيقول :

"ورغم التخبطات التى لاتحتاج إلى تفصيل ، قررت السلطات فتح الطرق المؤدية إلى الشمال أمام البدو" .

ويصف تصرفات البدوى الذى كان ينظر إلى جئولا وهى تركع على الأرض وتخطط بيدها خطوطا اعتباطية فيقول " .

"البدوى ينتظرها فى حيرة ، وبين الفينه والأخرى يغلق عينيه المفتوحة ويحملق أمامه بعينيه الأخرى" .

ثم يصف تصرف "جئولا" فيقول :

"أزاحت الفتاة نفسها عن الجذع الذى ارتكزت عليه ، وانحنت تجاه البدوى وكأن البنج يسرى فى ظهرها " .

ويصف النظرات المتبادلة بين البدوى والعنزة قائلا :

البدوى ينظر إليها بلا حركة وذلك لأنها ترفع نفسها وتعود لقوض العشب، كما يصف تصرف البدوى عندما يمر عليه شخص ما فيقول:

"وفى النهاية فإنك تعطى ظهرك للبدوى وتمضى فى طريقك، وعلى بعد مائة متر أو مائتين تلف رأسك فتراه واقفا نفس وقفته" .

ويلاحظ هنا أن تناول "عاموس عوز" كان مقصورا على البدوى الذى يرعى الغنم وربما يرجع ذلك ـــ كما ذكرنا من قبل ـــ إلى أنه يختار الكيبوتس مسرحا لأحداث قصصه وبالطبع كان لابد من أن يتناول البدو الذين يرعون قطعانهم فى المناطق المحيطة بالكيبوتسات ، كما يلاحظ أيضا أنه حرص على اظهار أن البدوى مصدر إزعاج وقلق لليهود كما فعل " يوسف أريخا " فى قصة "الرسام والراعى" .

٢ـــ العرب فلاحون

يصف " س . يزهار" فى قصة "خربة خزعة" المكان الذى جمعوا

فيه سكان القرية تمهيدا لترحيلهم فيقول :
"لقد شاهدنا جمهور القرويين كله مكدسا ، وصامتا ، كتلة هائلة وملونة" . ثم يصف العرب وهم جالسون تحت الشجرة قائلا:
"وهناك من كتفوا أيديهم الكبيرة الخشنة، أيدى فلاحين على صدورهم" . ويلاحظ أن " س . يزهار " كان يصف سكان إحدى القرى العربية ولذلك فإنه استعار صفة التكديس من المحاصيل الزراعية ، وصفة التكتل من الكتل الطينية فى الأراضى الزراعية ووصف بها سكان القرية حتى يحس القارىء بمدى العلاقة الموجودة بين سكان القرية والأرض الزراعية ، وكأن القرى العربية تخلو من أى عناصر بشرية أخرى كالطلبة أو التجار أو العمال أو الصناع .

وفي قصة "الكنز" يروى "أهارون ميجد" الحديث الذى تخيل سليمان أنه دار بينه وبين رئيس الحكومة فيقول :

رئيس الحكومة : ضاحكا ، حسنا يافلاح ، خذ زوجتك أمينة، ومصطفى ، والطفل الرضيع وعد إلى قريتك" .

ثم يقول على لسان "سليمان" وهو يأمل فى أن يعود إلى أرضه ليزرعها :

"عندما نعود ونعزق هذا الحقل مرة أخرى ، قبل المطر أحرث ، وبعد ذلك أفلحها مرة ومرة ، أربع مرات ، إنها أرض ممتازة" .

ونجد هنا أنه رغم حرص "أهارون ميجد" على إظهار "سليمان" في صورة فلاح لا يعرف شيئا سوى الزراعة إلا أن حب هذا الفلاح لأرضه واتقانه لفنون مهنته قد سيطرا على خياله رغم إرادته فعبر عنهما فى قصته . وفى قصة "منظر ليلة" يصف "يوسف أريخا" العرب الذين كانوا يركبون العربة التى ركبها جلعادى فيقول :

"وعندما جاءت سيارة أخرى ، اندس جلعادى وسطها ، وهى مكتظة بالفلاحين العرب" .

ثم يصف العرب الذين أحاطوا بجلعادى ليلا فيقول :

"وها هو يقف بين صمت الليل الذى سكن سكونا مخيفا ، وهو محاط بعدد من المدنيين المسلحين ، ومجموعة من الفلاحين"

ويصفهم وهم يسيرون حول جلعادى فى الطريق فيقول :

"وفي الوسط كان رئيس العصابة يهتز على سرج مهرة سوداء يقودها فلاح صغير وهنا نلاحظ أن "أريخا" قد عمد إلى تحقير وتشويه صورة الفلاحين العرب، فمرة يصفهم بأنهم شيء مهمل لاقيمة له حيث يركبون العربات كتلا بشرية متراصة فوق بعضها، وتارة أخرى يصفهم ضمن أفراد العصابة التي قابلت "جلعادي" ليلا .

العرب بائعو خضروات وحبوب:

يصف "أشر براش" المحل الذى كان يبيع فيه الحاج إبراهيم الخضروات فيقول :

"محله ، محل الخضروات لم يكن إلا مخزنا كبيرا خاليا ، بابه المزدوج والمرتفع مغلق ويقوم على عتلتين كبيرتين من الحديد ، وهو نفسه يجلس على عتبه حجرية " .

ويقول عن الحاج ابراهيم نفسه :

"إنه يبيع الخضروات الآن من حديقته ومن مزرعته التى تقع خلف مستعمرة الألمانيين ، وعندما يجمع الخضروات من حديقته فإنه يحضرها إلى محله فى الصباح" .

وهنا لم يقصر "أشر براش" عمل "الحاج ابراهيم" على بيع الخضروات فحسب ولكن جعله هو الذى يجمعها أيضا من المزرعة بنفسه وكأنه يريد أن يقول : رغم أن الحاج إبراهيم يقوم ببيع الخضروات فإنه فلاح أيضا . ويبدو أن هذه الفكرة متأصلة عند " أشر براش " لإننا نجده يختار لزوج صفية وأولادها ، والعرب الذين يتاجرون معهم ــ فى قصة "صفيه المسيحية" ــ المحاصيل الزراعية مادة لتجارتهم ولم يختر لهم شيئا أخر حيث يقول :

كنت أضر عدة مرات فى الأسبوع إلى محل صفيه ، وكانت تدخلنى إلى الشقة فى المكان الذى يوجد فيه أحيانا زوجها ، وأولادها، أو أى عربى أخر من الذين يتاجرون معهم ، وهناك أوضحت لى أنواع القمح : قمح نوريس ، وحوران، وبلدى ، وأنواع العدس الأبيض والأحمر ، وأنواع البازلاء والذرة ، كما كانت أيضا تبيع القمح المطحون " .

٤ـ العرب وممارسة الأعمال الحقيرة :

يقول "أهارون ميجد" على لسان "سليمان" فى قصة "الكنز". "أخذت زوجتى والأولاد على الجمل وذهبت ، هى تجمع السيقان وتشعل النيران لتخبز ، ونحن نجلس فى السقيفه ونشرب القهوة".

ثم يقول على لسان "سليمان" أيضا عندما تخيل أنه يجلس مع زوجته فى المنزل .

"هناك كانت أمينة تهف القمح . هنا كانت تخبط لتنقى العدس". وهنا يلاحظ أنه رغم تفاهة هذه الأعمال فإنها لم تخرج عن نطاق العمل الزراعى ويبدو أن ذلك كان شائعا لدى الكتاب الإسرائيليين لأننا نجد أن هذه الفكرة قد تكررت عند أكثر من كاتب . ففى قصة "تراب الطرق" يصف ناتان شاحم الأعمال التى يقوم بها العرب فيقول :

"وعلى جانبى الأشجار الشائكة أراض زراعية مخططة ، وقمح ذهبى اللون ، وسيقان مستسلمة لليقطين المنزلق ، وأحواض الذرة الخضراء ، والأن تقتلع البقايا عربيات تلبسن ملابس ملونة تقطفن من الحقل وتعملن أكواما" .

وفى قصة "الخشخاش المر" يوضح موشيه شامير الأعمال التى يقوم بها العرب فيقول :

"منذ أسبوعين فى موسم أحد المحاصيل ، كان أبو فاضل يجمع الليمون ، والنساء تكومن الأخشاب للتدفئة فى الشتاء . إنهم فى الموسم يعملون كالبهائم إنهم يشحنون الليمون فى السلال، ويحملونه على الجمال والحمير وينقلونه إلى محطة القطار، ومن هناك ينقل ليباع فى تل أبيب، وكل ما يتعلق بذلك: القطف ، والأنتقاء ، والتعبئة، والربط ، والشحن ، وقيادة البهائم ، والتحميل يقوم به أبناء "أبو فاضل" البنين والبنات ، والصغار والكبار" .

ويقول "يوسف حنانى" فى قصة "مزمار أحمد" عن أحمد: "إنه يسكن فى العزبة المجاورة وهو ذاهب الآن الى أمه التى تعمل فى الموشافاة عند اليهود" .

وواضح بالطبع أن الكاتب يقصد أن أم أحمد تعمل خادمة لدى

اليهود ، وهذا عمل حقير من سلسلة الأعمال الحقـيرة التـى نسـبها الأدباء الإسرائيليين إلى عرب فلسطين والتى كانت شائعة أيضا لـدى أكثر من كاتب حيث نجد أن "أشر براش" يقول على لسان "صفية" فـى قصة "صفية المسيحية" .

أنا وزوجى نعمل بالسمسرة فقط . ففى الحقيقة كل هذا المحصـول ليس ملكنا . العرب يحضرون لنا عينات أو عدة عبوات ، ونحن نبيـع ما عندهم" .

وفى قصة "أبو يوسف" يقول "حاييم هزار"

"لقد تغير الحراس من مكان لمكان ، وكان "أبو يوسـف" واحـدا منهم ، كان عربيا يبدو وكأنه يبلغ الخمسين من عمره" .

كما يتحدث "مردخاى طبيب" فى قصة "قيثارة يوسى" عـن يونـاه فيقول :

"مازلت أذكر صرخات ألمها فى جوف الليل من أثـر الحـروق وضرب السياط التى ينهال بـها شـيخ مـن الإسـماعيليين الذيـن يخروجون الشياطين ، وقد دعوه لكى يخرج من جسـد الفتـاة ذلـك الشيطان الذى لبسها" .

الفصل الثالث
وصف معاملة السلطات الإسرائيلية
للعرب وأوضاعهم فى ظلها

مارست السلطات الإسرائيلية أساليب البطش ، والإرهاب فى أعقاب اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية للسيطرة على الأرض مستفيدة من الهزيمة العربية ، ومن حالة الذعر والذهول التى استحوزت على المواطنين آنذاك . وعلى الرغم من أنها سنت بعد ذلك مجموعة من القوانين تهدف إلى مصادرة ما يمتلكه العرب من الأراضى فى البلاد سواء منهم المقيم أو اللاجىء خارج إسرائيل فإنها لم تلبث أن عاودت ممارسة أعمال العنف تجاه عرب فلسطين .

ففى ١٩٥١/٣/٢٣ طوقت وحدات من الجيش والبوليس الاسرائيلى قريتى عرابة ودير حنا وفرضت عليهما حظر التجول لمدة ثلاثة أيام، وشرعت فى التحقيق مع الأهالى وفى التفتيش عن أسلحة وضرب عدد كبير منهم بالسياط .

وفى نهاية يوليو ١٩٥٣ أعلنت وزارة الدفاع الاسرائيلى أن طائرة عسكرية إسرائيلية كانت تحلق فوق قرية الطيرة وأطلق سكان القرية النار عليها ، وقبل بزوغ فجر اليوم التالى طوقت وحدات من الجيش القرية، وأخرجت كل السكان من بيوتهم، وفرقت بين الرجال والنساء، وأوقفتهم تحت لظى الشمس المحرقة حتى الساعة التاسعة ليلا دون ماء أو غذاء ومارست ضدهم شتى أساليب الإرهاب والوحشية(١٧).

وفى ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ قامت قوة إسرائيلية كبيرة مسلحة بمهاجمة قرية قبية وأمطرتها بوابل من نيران المدفعية فدكت بيوتها على من فيها ، وكان هذا الهجوم مدبرا ومنظما حتى أن جميع القوى المجاورة والطرق المؤدية لقبية قد عزلت تماما حتى لاتهب لنجدتها .

وفى ١٩ أكتوبر ١٩٥٦ فرضت فصيلة من حرس الحدود حظر التجول فى القرى القريبة من الجدود ومن بينها قرية كفر قاسم ولم يتم اخطار عمدة القرية إلاقبل الموعد المحدد لسريان حظر التجول بنصف ساعة فقط فاستحال عليه إبلاغ سكان القرية الذين يعملون

بعيدا عن قريتهم ولايعودون إلا مع غروب الشمس . وفي الساعات الأولى من حظر التجول أى مابين الساعة الخامسة والسادسة قتل حرس الحدود ٤٧ قرويا وهم عائدون إلى منازلهم دون أن يعلموا بقرار حظر التجول كما قتل الكثيرين من رجال ونساء وأطفال القرية بوحشية متناهية .

وكان نظام الحكم العسكرى الإسرائيلي يتدخل في جميع مجالات حياة المواطن العربي في إسرائيل حيث قامت السلطات الإسرائيلية بتقسيم المناطق التي يسكنها العرب إلى ثلاث مناطق وهي: الجليل ، والمثلث ، والنقب ، ولكل منها عسكرى له الصلاحيات التالية :

١ــ تقييد الحرية الشخصية :

فمن حق الحاكم العسكرى في المنطقة أو ممثليه اعتقال أى شخص ونفيه وطرده ، خارج البلاد ، كما أن له حق فرض الإقامة الإجبارية على أى شخص أو وضعه تحت مراقبة الشرطة ، وله حق مصادرة الأراضي والأموال وفرض الرقابة العسكرية على البريد والتليفون وإعلان حظر التجول .

٢ــ تحديد حرية التنقل :

حيث لا يسمح للعربي بالانتقال من منطقة إلى أخرى إلا بتصريح خطى من الحاكم العسكرى ، ويحق للحاكم أن يمنع إعطاء مثل هذا التصريح دون إبداء الأسباب وفي حالة إعطائه فإنه يتضمن قيودا كثيرة .

٣ــ التدخل في الحياة الاقتصادية للأفراد :

يستطيع الحاكم العسكرى أن يمنع أى شخص من السفر للبحث عن عمل كما في استطاعته أيضا أن يمنع استمرار أى شخص في وظيفته بحجة أن ذلك يتعلق بالأمن .

٤ــ سياسة الإرهاب الجماعي :

يسلك الحاكم العسكرى هذه السياسة إما بطرد السكان العرب من أراضيهم بالقوة ، أو بتنفيذ عمليات القتل الجماعي .

وبالنسبة لعمليات الطرد فقد نفذت في العديد من القرى مثل : جونى ، وأقرت ، وسعت ، والبروة ، وبيرام ، وأم الفرج ،

ومجدل ، والرويسية ، وغيرها وقد لايكتفي الحاكم بـالطرد بـل قـد ينسف القرية بأكملها كما حدث في قريتي أقرت وكفر برعـم حيـث قامت السلطات بنسفها عندما قام الأهالي فيها بتقديـم شـكوى الـى المحكمة العليا . أما بالنسبة لتنفيذ عمليات القتل الجماعي فقـد نفـذت في أهالي الطيرة ، وأبوعوش ، وعطـاء ، والطيبـة ، والرملـة ، والناصرة ، والحملة ، وكانت ذروة هذه العمليات ، العملية التي تمـت في كفر قاسم والتي ذهب ضحيتها أكثر مـن ٥٠ قتيـلا دون ذنـب اقترفوه .

وكانت نتيجة عمليات التدمير والنسف والحرق أن عـدد البلـدان والقرى العربية في فلسطين عام ١٩٤٨ كان ٨٠٧ قريـة، واشـتملت المنطقة التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٤٨ على ٤٧٩ من تلك القـرى والبلدان . وقد تم تدمير ٣٨٤ منها تدميرا تاما وسـويت لأغـراض الزراعة ولم يبق منها سوى ١٠٥ قرية فقـط ، ومـن هـذه القـرى والبلدان المتبقية ٩٨ بلدا وقرية يسكنها العرب

والباقي مدن مختلطة تسكنها اقلية عربية وسط غالبية يهودية.

إن اسلوب معاملة السلطات الإسرائيلية لعـرب فلسـطين يعكـس الحالة التي يعيش فيها هؤلاء العرب : فهم يعيشون فـي حالـة مـن الرعب الدائم والفزع الرهيب لأنهم معرضون في أي وقت للضـرب والطرد والقتل والإبادة ، كما أن ممتلكاتهم معرضة للسـلب والنـهب والحرق والنسف بالاضافة إلى أنهم عاشوا في ظـل قوانيـن الحكـم العسكري غرباء في أرضهم محرومين من كافة حقوقـهم ، مـهملين يفتقرون إلى رعاية السلطات ولكن على الرغم من ذلك ، وفي ظـل هذه الظروف فانهم كانوا دائما يتمسـكون بـالأرض ، ويرفضـون الاستسلام وهم عزل من السلاح.

هذا هو أسلوب معاملة السلطات الإسـرائيلية لعـرب فلسـطين ، وهذه هي أوضاع العرب في ظل هذه المعاملة ولقد انعكس هذا الواقـع في الصورة الأدبية لدى كتاب القصـة القصـيرة (١٩٤٨ ــ ١٩٦٧) وسوف أعرض فيما يلي تحليلا لنماذج القصـة القصـيرة المختـارة والتي تؤيد الواقع المرير لعرب فلسطين في ظل الحكـم الاسـرائيلية وذلك من خلال مبحثين رئيسيين وهما وصـف معاملـة السـلطات الاسرائيلية للعرب، وأوضاع العرب في ظل السيطرة الاسرائيلية .

المبحث الأول
وصف معاملة السلطات الإسرائيلية للعرب

دأب الأدباء الإسرائيليون على تصوير العربي الفلسطيني ـ رجلا كان أو إمراة أو حتى طفلا ـ في صورة مزرية حتى لايشعر القارىء بأى تعاطف مع أى نموذج من هذه النماذج إذا تعرض لأى أعمال وحشية . واستتبع ذلك بالتالى استطراد الأدباء الإسرائيليين واطنابهم فى تصوير المعاملة القاسية إلى حد الإهانة والإذلال للإنسان العربى الفلسطينى ، بل وشملت القسوة والإهانة ما يمتلك من حيوانات وعقارات ، ووصلت إلى حد الحرق والنسف والتدمير .

فالعرب ـ كما يصورونهم ـ لايجدون أى استجابة لتوسلاتهم ودموعهم . وحتى النساء العجائز لا ينلن أى عطف أو حنان من قبل اليهود ، وكان الأدباء الإسرائيليون يفيضون في وصف مظاهر الهلع والذعر الذى يبدو عليهن عند مهاجمتهن حتى وإن تشعث شعرهن أو علا صراخهن . بل وتطرق الوصف إلى تصوير جوع الأطفال والمعاملة القاسية التى يلقاها هؤلاء الأطفال بما فى ذلك ذوى العاهات منهم . ولعل هذا الاتجاه تكريس للمبادىء الصهيونية التى ترى فى العنصر اليهودى التفوق والتميز على ماعداه من العناصر الانسانية الأخرى ، فالرجال العرب كلاب ، وحمقى وقذرون ، وليسوا جديرين بحياة كريمة تذكر ، ولا داعى لحزن ولادموع إذا لقى أحد منهم حتفه، ولا داعى للتعاطف أيضا إذا ماجر أحدهم على وجهه أو سالت الدماء من جسده .

وماذا تعنى صرخات النساء عند الأدباء الاسرائيليين أو توسلاتهم إذا ما ألقى القبض على أزواجهن أو أبنائهن أو دفعوا إلى غياهب السجون أو حتى إذا طواهم الثرى فى بطون القبور.

إن كل مظاهر التعذيب والإذلال والإهانة لم تكن تثير في نفوس الأدباء الإسرائيليين إلا الاشمئزاز، وكأن تلك النماذج البشرية غير جديرة بحياة ولا مستحقة للاحترام، أو كأن هذه الصرخات النابعة من أعماق القلب مجرد حفيف شجر أو خرير ماء، أو نعيق غربان في أضعف الايمان .[١٠]

ومع أن منظر الأطفال يثير فى نفس الانسان العاقل شفقة ورحمة وعطفا ، إلا أننا لانكاد نلمح فى كتابات الأدباء الاسرائيليين شيئا يذكر من هذا المظهر الانسانى الجميل، فالطفل العربى كما يصورونه لن يكون عندما يكبر إلا حية سامة ولذلك فإنه لايستحق العطف والرحمة .

ويعبر أدباء القصة القصيرة خلال الفترة موضوع البحث عن نفس الخط الذى كانت تسير فيه السياسة الإسرائيلية آنذاك والذى استمرت عليه بعد ذلك ، فالتدمير والارهاب والنسف والرعب عناصر أساسية فى تصوير الأدباء الإسرائيليين للأحداث . فالمنازل تتهدم والمبانى تسقط على رؤوس أصحابها ، والانفجارات تنتشر فى ربوع القرى الهادئة الساكنة ، والألغام تبث هنا وهناك حتى لايفر العرب أو يلجأون إلى شتات غير معروف المصير ولا محدد الجهة . وعمليات التفتيش تجرى بين الفينة والأخرى ولا تراعى فيها حرمة لبيت ، ولا احتراما لشيخ، ولا توقيرا لأنوثة ، ولا حتى تراعى فيها قاعدة لأخلاق ولا تهذيب . وإذا ما أرادت شخصيات القصص أن تفتخر بأعمال بطولية تخلدها وتكتب لها الثناء فإن نسف قرية أو حريق بيت أو إبادة قرية عربية بأكملها هى هذه الأعمال، لأن القرية العربية فى نظرهم ليست سوى كومة من القش أو الحجارة المتراصة . لكل ذلك كان الحرص على أن أبين كيف يصور الأدباء الإسرائيليون أسلوب معاملة السلطات الاسرائيلية لعرب فلسطين فى النماذج الأدبية المختارة ، ويمكن إيضاح ذلك من خلال نقاط ثلاث على النحو التالى :

١ــ الإهانة والقسوة فى المعاملة سواء بالنسبة للإنسان أو الحيوان :

يصور "س . يزهار" فى قصة "خربة خزعة" الأسلوب المهين الذى كان جنود جيش الدفاع الإسرائيلى يعاملون به العرب من خلال تصويره لتصرف "مويشى" مع العربى المختفى وراء الأسوار الطينية فيقول :

"ثم التفت إلى العربى وهو يشير إلى الجيب ولكى يجنبه الوقوع

فى أى خطأ دفعه دفعة قوية إلى داخلها ، إلى حد أنه انغرس فى جدارها يتعلق بها وهو يطوى نصف جسمه الأعلى داخلها ، بينما بقيت ساقاه وذيل قفطانه وصندله تتدلى خارجها وهى تتخبط تخبطات مضحكة محزنة على السواء . شدوه ، دحرجوه كما يتدحرج كيس داخل جيب " .

وهنا تظهر مدى الاستهانة والقسوة فى المعاملة والاستهزاء بآدمية العربى ، فلم يكتف الجندى الإسرائيلى بالقاء العربى داخل العربة ولكنه ترك ساقيه متدليتين من العربة إمعانا فى السخرية منه .

كما يصور "س . يزهار" القسوة فى المعاملة أيضا من خلال تصرف الجنود اليهود تجاه العرب حيث يبين لنا أنه بمجرد أن أصدر "مويشى" التعليمات لجنديين من جنود جيش الدفاع الإسرائيلى لينقلا عرب القرية الذين تم إلقاء القبض عليهم إلى مكان التجمع حتى قام الجنديان بتهديد العرب ، ومعاملتهم بقسوة وكأنهم أغنام وبقر وذلك إظهارا لبطولتهم فيقول :

"وسرعان ما نهض الشابان وهما يصرخان فى المعتقلين بحدة ويلوحان بأيديهما وبندقيتهما كراعى بقر فى مراعى فاسياس ، متأهبين لأن يقمعا ويسحقا أى تمرد يحدث ، لو لم ينطلق المعتقلون كلهم ويسيرون عند سماع الصيحة الأولى مباشرة محتشدين متحاشرين بإذعان ، ودونما اعتراض ولم تكن الضجة التى أثارها الشابان إلا من أجل التفاخر بالبطولة فحسب".

ولعله يتضح من هذا الوصف أن كل جندى من جنود جيش الدفاع الاسرائيلى كان يبحث عن دور بطولة ولا يجده ويصف "س . يزهار" قسوة اليهود مرة أخرى فيقول :

لقد توفر لدينا بعض العرب الذين التقطناهم هنا وهناك ، فجمعناهم وسقناهم أمامنا دون أن نعيرهم أى انتباه سواء كان ذلك بالنسبة إلى شكلهم أو توسلاتهم أو إلى بكاء يرتفع هنا ودموع تتساقط هناك حتى ولا إلى ذلك الذى كان قد أعد لنفسه ، لسبب ما ، علما أبيض ، مما يتيسر له ، وخرج إلينا يلوح به ويتمتم بخطاب ، كما لو كان رئيس بلدية يحمل مفاتيح الاستسلام فى يده ، لم يثر فينا غير

السأم ، وغضب لا يفسر" .

كما يصور مدى الإهانة التى كان يعامل بها أحد الجنود اليهود المرأة العربية التى كانت تجرى لترى منزلها الذى تهدم فيقول :

"عاد ذلك الشاب وصرخ فيها يأمرها أن تعود إلى مكانها إلا أن المرأه كانت قد تخطت كل الإنذارات فنحته من طريقها وراحت تجرى إلى مكان الانفجار غير أنه وبحركة من يده كان قد أمسكها بمنديلها فانحسر شعرها وتشعث إمعانا فى إهانتها ، الأمر الذى أثار امتعاض الجميع" .

ويصور معاملتهم للنساء أثناء جمع عرب القرية لنقلهم وترحيلهم خارجها فيقول :

ولكن عندما مرت بنا النساء مالت علينا إحداهن وتعلقت بكم قميص شلومو وبكت أمامه مستعطفة . نفض شلومو يده يخلصها منها ، وراح يتلفت حوله يبحث عن مخرج ، أو ربما ، مستسمحا معاملتها برفق ، إلا أن يهودا الذى كان يقف هناك ناسيا ثيابه الملطخة ، صرخ بها بقسوة : يلله ، يلله ، أنت أيضا، أما هى فقد ارتعبت وذهبت " .

وهنا تظهر قسوة اليهود فى معاملتهم للعرب حيث يسودهم شعور باللامبالاة تجاههم فلا يستجيبون لتوسلاتهم ، ولا يحنون لبكائهم وصراخهم ، كما أن هذه التوسلات وذلك البكاء لا يثير فيهم الا الغضب والحقد فيزدادون قسوة فى المعاملة تجاه العرب سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفالا وتتسع دائرة هذه القسوة فتشمل الحيوانات أيضا وفى هذا الصدد يقول "س . يزهار" "كانوا يجلدون الجمل الذى يدور بالساقية" . ثم يصور كيف كان الجنود الإسرائيليون يستهينون بالحيوانات فيقول :

"قال شموليك لعامل اللاسلكى : مارايك فى القوة الخارقة عند الحمار؟

قال عامل اللاسلكى : وكيف عرفت ذلك ؟

شموليك : لقد رميت بالأمس واحدا بثلاث رصاصات ولم يمت.

عامل اللاسلكى: أين أطلقتها ؟

شموليك : واحدة هنا فى العنق ، وواحدة هنا فى الرأس تحت الأذن والثالثة بجوار العين .
عامل اللاسلكى: ثم ؟
شموليك : لم يمت وواصل سيره .
عامل اللاسلكى: هراء هذا مستحيل .
شموليك : أقسم أنى بالأمس ، بالقرب من المعسكر، خرجت لكى أجرب البندقية فرأيته يتبختر عند السور وعلى الفور رميته .
عامل اللاسلكى: من أى مسافة كان ذلك ؟
شموليك : لا شىء ، عن قرب . عشرة أمتار أو ما يقارب ذلك .
عامل اللاسلكى: ولم يمت ؟
شموليك : فعلا لقد تابع سيره وبعد ذلك سقط .
عامل اللاسلكى: أما أنا فقد رميت حمارا فى مؤخرته ذات مرة فسقط فورا . لقد خرجت له فى مؤخرته مثانه .
انضم ثالث للحديث قائلاً: بالنسبة للجمل مجرد ثانية واحدة ويسقط" .

وعلى أى حال فإن "يزهار" قد صور بدقة المعاملة المهينة والقاسية التى يلقاها العرب وحيواناتهم من اليهود .

وفى قصة "تراب الطرق" يصور "ناتان شاحم" كيف كان كفتوروفيتس يعامل الشباب العرب الذين كانوا يجرون وراء عربته المحملة بالمربى فيقول :

"لقد حدث أيضا منظر مشابه فى طولكرم ، ولكن الآن لا يستطيع الشباب قذف الحجارة ، كانوا يقفزون على العربة ويلعقون المربى التى تسيل على حروفها وكان كفتوروفيتس يقذفهم بالشتائم ويهددهم بالسوط" .

وهنا نجد أن "شاحم" لم يفكر فى منع الشباب العرب بهدوء رغم أن المربى كانت تسيل خارج البرميل واستخدم أسلوبا واحدا وهو السباب . والتهديد بالسوط وكأنه يقول أن العرب لا يجدى معهم إلا استخدام العنف والقوة وبث الرعب فى نفوسهم . أما فى قصة "الخشخاش المر" فيصور "موشيه شامير" تصرفات السلطات

الإسرائيلية مع العرب وذلك من خلال تصرف شبيرا غير المقتنع بهذه التصرفات فيقول :

"عندما خشى " شبيرا" من السلطات نظرا لوجود العرب عنده قال: يجب أن أذهب عند أبى فاضل وأطرده بدون كلام كثير، واحد ، اثنين ، من فضلك يا أبا فاضل ، خذ معك الناس والأولاد وكل شيء والله يسلمه . حتى لاتسببوا لى إزعاجا ، ليست عندى القدرة على معارضتهم"

وعلى الرغم من أن " شبيرا" غير مقتنع بتصرفات السلطات وحزين على طرده لأبى فاضل فإنه كان يعامله هو وأولاده وزوجته بقسوه حيث يصور " شامير" ذلك قائلا:

عندما نادى "شبيرا" لشريفة وأولادها ليعملوا قال لهم : ماذا حدث؟ شخط فى الصغار والعجوزة ، ماذا أنتم تنتظرون هنا هيا، إذهبوا إلى ما كنتم تعملونه هيا" .

كما يبين رد "شبيرا" على "أبى فاضل" عندما طلب إليه جزءا من المال لينفق به على زوجته قائلا:

"ليس لدى نقود ، فقال له أبو فاضل : يوجد ياشبيرا ، اعطنى جزءا علشانى ، وعلشان الأولاد وعلشان شريفة . فقال له شبيرا: هذا ابتزاز واضح ، علشان شريفة وعلشان البنت الصغيرة ، يا أبا فاضل . ليس لدى نقود وأنت لن تأخذ منى مليما واحدا" .

ومن ذلك يتضح أن المعاملة القاسية ، والاستهانة بالعربى واستخدام العنف ليس نابعا من تصرفات أشخاص بذاتهم فحسب ولكنه أيضا تعبيرعن إرادة السلطة الإسرائيلية التى تمثل موقفا عدائيا متطرفا تجاه العرب .

وفى قصة "على سن الطلقة" يصف اسحق أورباز كيف تصرف مع العربى عندما أنزل يديه من فوق رأسه ثم أعادهما إلى مكانهما بسرعة فيقول :

"طابع عربى قذر ، أمرته أن يرقد على وجهه ، ويداه ممدوتان ومبسوطتان وضربته بحذائى فى مؤخرته لإرهابه" .

وهنا يتضح مدى احتقار اليهودى للعربى فهو لا يكتفى بمعاملته

معاملة قاسية ولكنه يتعمد إذلاله ، وإهانته وإرهابه .

وفى قصة "أبو يوسف" يصور "حاييم هراز" كيف كان مدير السجن يعامل الشرطي العربى (أبو يوسف) فيقول :

"صفعه "الياهو" على وجهه وقال له : أتركت كل هذا وجئت لتكون شرطيا فى السجن؟

فعلى الرغم من أن مدير السجن يتحدث مع أبى يوسف حديثا وديا إلا أن أسلوبه فى رده عليه كان الضرب على الوجه وهو أبشع أنواع الضرب لأنه يثير فى النفس الشعور بالضعة والصغار .

أما فى قصة "البدو الرحل والثعبان" فيصور "عاموس عوز" كيف كان شباب الكيبوتس يعاملون البدو الرحل فيقول :

"حقيقة لسنا من الذين يتمالكون أنفسهم، فأساسا هذه الأشياء شائعة بين شبابنا وبسبب قيود الذوق الطيب فاننى لن أفسر هنا أعمال سرقة المواشى، وقذف شباب البدو الرحل بالحجارة ، وضرب أحد الرعناه حتى الاغماء"

كما يقول :

"لقد عبر الشباب فى طريقهم إلى الحقل لمعاقبة البدو، إنهم يحملون فى أيديهم عصى قصيرة وغليظة"

وعلى الرغم من أن "عاموس عوز" لم يستعرض بالتفصيل ما يقول به سكان الكيبوتس ضد العرب إلا أنه من الواضح أنهم لايتورعون عن عمل أى شيء سواء كان ذلك نهبا أو ضربا بلا رحمة .

وفى قصة " قيثارة يوسى" يصف "مردخاى طبيب" أسلوب القسوة والتهديد والإهانة الذى يعامل به العرب من قبل اليهود فيقول عندما كان بطل القصة يضرب إبن سالم حسين الأعرج على لسان البطل :

"ذهبت إليه ، وكان يزحف على الأرض لأنه لايستطيع الهروب مرتعدا من الخوف صفعته على وجهه ، وكان يحمى رأسه بذراعيه ويقول باكيا : لست أنا ، لست أنا ووجهه مليء بالخوف ، وعندما رأيته ينكمش على الأرض ويثنى قدميه المصابتين تحته تبادر إلى ذهنى ربما تكسر ذراعى هذه المرفوعة على جسده . رفعت يدى

واكتفيت بتهديده".

وهنا نجد أن اليهودى لا يفرق بين الكبير والصغير ، ولابين السليم والمصاب فالكل عنده عرب ويجب معاملتهم بقسوة وعنف.

٢ــ القيام بعمليات تفتيش :

يصف "س . يزهار" فى "خربة خزعة" عمليات التفتيش التى كان يقوم بها الجنود الإسرائيليون قبل دخولهم القرية فيقول:

"أخرجنا من الغم حين أخبرنا بأنهم أرسلوا لنا سيارة وسوف تنطلق بها لنفتش الأكواخ التى فى البيارات وحقول الكروم ثم ندخل القرية"

كما يقول :

"وإلى أن تفجر غضبنا كنا قد وصلنا إلى ذلك الميدان الصغير فى أسفل القرية حيث كان هناك شابان من فصيلة أخرى يحرسان جمعاً صغيرا كانوا قد جمعوه أثناء عملية التمشيط"

ثم بين بعد ذلك استمرار عمليات التفتيش فيقول :

"ولكن "مويشى" المتابع لنا قال للشابين أن يأخذا الجمهور المنتظر وينقلاه إلى مكان التجميع ، وأن يخبرا القائمين على الحراسة هناك بأننا سنتابع التفتيش قبل أن نأتى اليهم ، وأرسل الجيب معهما أيضا"

وعن عمليات التفتيش داخل بيوت القرية يقول :

"ولكن سرعان ما اتضح لنا أننا كنا قد أضعنا وقتا طويلا ، نهضنا على غير رغبة منا وانطلقنا عائدين إلى أزقة القرية ، فتشنا البيوت متكاسلين ، نظرة خاطفة هنا وأخرى هناك مجرد تأدية للواجب"

وهكذا فإن اليهود لم يكتفوا بمعاملة العرب وحيواناتهم بعنف وقسوة ولكنهم كانوا يقومون بعمليات تفتيشية رغم أنهم يعرفون أنهم عرب فلاحون عزل من السلاح

أما "عاموس عوز" فيصور فى قصة "البدو الرحل والثعبان" تصرفات سلطات الكيبوتس تجاه البدو الرحل فيقول :

"العمليات الهجومية المفاجئة التى تمت فى المخيمات الممزقة لم تسفر عن أى شيء وكأن الأرض قررت أن تستر السرقة وتتبه

السارقين".

وهنا يتضح أن اليهود يقومون بعملياتهم التفتيشية لا بهدف التفتيش ولكن بهدف إثارة الذعر والرعب ، وبث الخوف في نفوس العرب، فهم يعرفون أن الخيام الممزقة لايوجد فيها أى شىء ولاتستحق التفتيش ولكنهم يفعلون ذلك تنكيلا بسكانها .

٣ـ التدمير والحرق والنسف والإبادة :

يتحدث "س . يزهار" فى "خربة خزعة" عن بعض البنود التى كان ينص عليها الأمر الادارى فيقول :

"يتحتم جمع الأهالى إبتداء من النقطة الفلانية (انظر الخريطة) وحتى النقطة الفلانيه (انظر الخريطة نفسها) وشحنهم فى السيارات ونقلهم إلى ماوراء خطوطنا ، ونسف البيوت الحجرية ، وحرق الأكواخ الطينية واعتقال الشباب والمشبوهين، وتطهير المنطقة من القوات المعادية الخ الخ إذ يتضح الآن بأية أمال كبيرة وأية نزاهة عبر الخارجون إلى المهمة بعد أن ألقى على عاتقهم كل ذلك الـ احرقوا ـ انسفوا ـ اعتقلوا ، احملوا ـ اطردوا كى يهموا ويحرقوا وينسفوا ويعتقلوا ويحملوا ويطردوا بأمانة كبيرة "

ويصف استعداد الجنود للإبادة والتدمير بعد أن صعدوا التل فيقول:

"ومن هنا كان التل مكشوفا أمامنا، فاتخذنا مواقعنا، ونصبنا المدفع الرشاش وأصبحنا جاهزين لأن نبدأ "

ثم يقول:

"إلا أن رياح لم تطور بعد جناحيها ، وتحولت إلى تيارات متعكوة تفسد بقوتها الجارفة ذلك النذر القليل من الجمال ولايبقى منه فى النهايه غير شىء من الكدر الملوث على الفور تصبح ثمة حاجة لدينا للانتقام ، للتكسير والتحطيم ، وعلى الأقل للدوس بالأرجل".

ويصف كيف كان اليهود يخططون لإبادة العرب فيقول:

"انظروا ، فإذا كانت القرية هناك ولا يستطيعون الهرب اليها، فالى أين يهربون ؟ قبل كل شىء إلى هناك . حسنا. وهناك نزرع لهم ألغاما قافزة . أعرابى واحد ينفجر وعشرة ينبطحون على

الأرض . وفورا يغير الآخرون اتجاههم ويندفعون إلى هنا، الينا، إلى فوهة المدفع الرشاش هذا مباشرة ويقعون فى الشرك ببساطة "

وبعد ذلك يصف الهجوم على القرية قائلا:

"وصل الأمر بالبدء . ستفتح فصيلتنا النار على أسفل القرية، وعلى البيوت العالية المواجهه لنا. فصيلة التأمين التى فى المؤخرة تفتح النار على الدائرة الخاصة بها والفصيلة الثالثة ستتمركز فى أعلى القرية ومن هناك تسيطر عليها وسرعان ما فتح المدفع الرشاش فمه ونطق بعدة دفعات برقة كما لو لم يكن من شأنها أن تؤذى، كما لو كانت رماية للتسلية، فى البداية كشط شبابيك بيت مبيض بالكلس (كلس عربى ضارب للزرقة) وبعد ذلك نسف بيت طينى عال وسرعان ما نزلت النيران على طول زقاق واسع ثم خرجت وقفزت متناثرة على واجهات الجدران والأسور وبين الأشجار التى كانت الشمس قد بدأت تغسلها من داخل رؤوسها الكثيفة (وكانت هذه المرة تختلف تمام الاختلاف عن مرات سابقة)، حين يفتح مدفعك الرشاش نيرانه، وينسيك للحظة خوفك السابق كى يعطى الإشارة للطرف الآخر بالإغارة...... قال مويشي: لقد فاجأناهم تماما. إضرب إلى اليمين قليلا تلك البيوت ، كنا نستلقى على بطوننا ونشهد المسرحية ونستمتع ونزداد انفعالا من إصابات جابى وحكمة مويشى وأعيننا تجول المنطقة تقع على صيد من أجلنا أيضا. وكنا الآن نسمع طلقات فصيلة التأمين من الناحية الأخرى ، وكانت تشكل ما يسمونه " نيران متقاطعة " رائعة ثم مايدغدغهم فى حواصلهم قليلا ، هنا .. ها، قال شخص ما" .

ويقول على لسان شموليك الذى التمعت فيه شرارة المعركة وكان جاهزا لإخراجها:

"كان من الأفضل لو قصفناهم بعدة قذائف هاون".

ثم يصور ما قام به الجنود من أعمال التدمير قائلا:

"وقد أصبح واضحا ما الذى يمكن فعله فى كل ذلك وكيف لو لم نكن حتى الآن فى كثير من القرى، وجمعنا ورمينا وحرقنا ودمرنا إلى أن عافت نفوسنا ذلك لكنا نأخذ على الفور الطورية أو المذراة

المناسبة المتروكة ونرميها على الأرض بازدراء ، أو نصوبها إذا ما أمكن ذلك إلى الأشياء التى سرعان ما كانت تتناثر قطعا مهشمة، فنتحرر من الإهانة لعدم إستبداله بدمار حقيقى مرة واحدة وإلى الأبد فيتوقف صمته ويتلاشى".

ويصور تدمير منازل القرية فيقول:

"وهنا صعقنا ، صوت انفجار قوى مفاجىء وعمود دخان أبيض تعالى من أسفل القرية باضطراب (وسرعان ماطغى الصمت بطمس الضجة وليس المفاجأة) وحين نظرنا إلى مويشى قال مويشى إن فرقة التدمير باشرت عملها أما نحن فأننا مقبلون على إنهاء مهمتنا ".

الخلاصة ، يعني ــ إننا لم نفعل اليوم شيئا.. قال جابي كابحا جماح نفسه ، وترك مثانتين تنتفخان بسرعة قصوى وتنفجران".

ويصورها فى موقع آخر قائلا:

"تقدمنا نتفقد الأحواش المقفرة، ننادى ونعلن عن كل ما يمكن أن يكون لقطة بينما كانت الأرانب والدجاج تفر من أمامنا، نصب فى بعض الأحيان القليل من المازوت الذى كنا قد جهزناه فى الصفائح ووضعناه فى الجيب سلفا، ونشعل كومة من التبن أو بوابة خشبية أو سقف قش منخفض ثم ننتظر إلى أن نراها تتحول إلى نيران تقل وقاحتها مع احتراق المازوت ، ونركل شيئا ما هنا وآخر هناك لربما كان مخبأ تحته ما هو أثمن حريصين على ألا ندخل البيوت خشية البراغيث ونجتاز غازين جزءاً من حياة البيوت ، وبشر سحقناهم فى لحظة واحدة فى أوج حربهم ولم يبق منهم سوى إيماءة متحجرة ستأخذ منذ الآن فصاعدا فى الاندثار فى غبار الزمن.

ثم يصور انفجار أحد المنازل قائلا:

"عندما انفجر فجأة أحد البيوت الحجرية بصوت يصم الآذان وبعمود من الغبار المتصاعد وشوهد سقفه من هنا وهو يرتفع قطعة مسطحة واحدة وسليمة كما هى ثم تصدعت وتحطمت فى الفضاء فجأة فتناثرت وسقطت كتلاكتلا، نتفانتفا، بغبار وبرد من حجارة " .

ويعبر عن هول القتل والدمار على لسان أحد الجنود فيقول:

"قال يهودا: إننى لا أستطيع نسيان هاتين العجوزتين اللتين كانتا

تجلسان هناك ، شيء مرعب لم يسايره أحد في الحديث فاستمر وحده: لقد انتابني هناك ما انتابني في البداية عندما شاهدت القتلى والجرحى والدمار لأول مرة ، هل تذكرون؟ لقد كان ذلك رهيبا ، ظننت عندها أنه سيلاحقني دائما وماذا اليوم؟ إن القتلى والدمار اليوم بل وكل شيء ، أصبح لا شيء لدي" .

وفي موقع آخر من القصة يسرد " س. يزهار" تعليمات مويشي التي تنتهي بالحرق والنسف فيقول:

"قال لنا مويشي : قبل كل شيء علينا أن نفحص جميع العرب الذين جمعوا بدقة لتمييز الشباب المشتبه فيهم من بينهم ، وثانيا فإن الشاحنات ستأتي لكي تشحنهم جميعا وتبقى القرية فارغة ، أما ثالثا فعلينا أن تنتهي من الحرق والنسف، وبعد ذلك نذهب إلى البيت" .

ثم يقول على لسان مويشي وهو يتخيل أن هناك يهودا سيأتون ويحتلون هذه القرية ويفلحون:

"من ذا الذي يطرأ على ذهنه ذات يوم بأنها كانت ذات مرة خربة خزعة التي طردنا أهلها وورثناها ، جئنا أطلقنا النار، وحرقنا ، ونسفنا وركلنا ، ودفعنا ، وهجرنا ؟".

ويتضح من هذه الاستشهادات أن " س . يزهار" قد صور بدقة وأمانة ما يحدث من مظاهر الفوضى والعنف ، والتكسير والتحطيم والقتل والإبادة، هذه الأعمال التي يقوم بها الجنود الإسرائيليون تنفيذا لتعليمات صادرة إليهم تهدف إلى إبادة العرب الفلسطينيين العزل من السلاح حتى أصبح هؤلاء الجنود مشبعين بهذه التعليمات . ويبدو أن قيام الدولة كان له أثر كبير على هؤلاء الجنود ـ كما ذكرنا من قبل ـ فالشعور بالقوة ، والسلطة والجيش المحتل جعلهم لا ينتبهون لعناء المزارعين العرب: المسنين والأطفال والنساء الذين طردوهم من بيوتهم وحقولهم وما رسوا ضدهم شتى أنواع الإرهاب بلا داع ، وبلا سبب أمني أو عسكري .

وتظهر نقمة الجنود الإسرائيليين إزاء ما يصدر إليهم من تعليمات مجحفة بالنسبة للعرب في قصة "الأسير" أيضا حيث يقول "س . يزهار" على لسان أحد الجنود:

"لا نتحمل أن نعود بيدين خاليتين . شخص ما من بين الرعـــاة أو شخص ما من بين الشباب ، ويمكن أيضا أن يكون عدد منهم ، يجــب القبض عليهم ، أو أى عمل ما يجب عملـــــه ، أو حــرق أى شـــىء والعودة بشىء ملموس".

وهنا يتضح أن ما يقوم به الجنود الإسرائيليون هو تنفيذ لأوامـــــر صادرة اليهم وليس عن رغبة منهم ، ويبدو أن هـــذه الفكــرة كـــانت شائعة عند أكثر من كاتب "فموشيه شامير" يقول على لسان " شـــبيرا " فى قصة "الخشخاش المر" :

"عندما طلب " شبيرا " من "أبى فاضل" أن يســأخذ أولاده ويغـــادر المكان سأله عن السبب فقال شبيرا : هنا سيذبحونك أنت وأبناءك"

أى أن "شبيرا" يحذر "أبا فاضل" من البقاء حرصـــا علـــى حياتـــه المعرضة للخطر من قبل السلطات الإسرائيلية.

كما أن "عاموس عوز" يقول على لسان "جنولا" وهى توجه حديثـــا لأطقين فى قصة "البدو الرحل والثعبان".

"لا، لن أقص عليهم. ليس لـــدى القـــوة لأقـــف أمـــام نظراتـــهم الفضولية. يكفى ماقصصته عليك يا أطقين. أنت بنفسك تقص عليـــهم . أيضا الليلة ، سيهاجم الأبناء الخيمة ، ويدمرونها بأنفسهم".

وهنا تخشى "جنولا" تصرفات الشباب إزاء البدو فتوصى أطقيــــن بمحاولة اقناعهم بالتزام ضبط النفس قبل أن يبدأوا بمهاجمـــة الخيمـــة ويمارسوا عمليات التكسير والتحطيم .

المبحث الثانى
أوضاع العرب فى ظل السيطرة الإسرائيلية

تحاول الدعاية الصهيونية الترويج لفكرة أن اسرائيل تقدم للعرب فى فلسطين خدمات جليلة ، وأنها تعمل على تحسين أحوالهم ، وانقاذهم من بؤرة التخلف التى عاشوا فيها بما تقدمه لهم من خدمات فى شتى المجالات ، كما تعمل على دفعهم إلى التأقلم بروح العصر والبعد عن تقليديتهم على أساس أن الإسرائيليين يدعون أن النزعة الأسرية والدينية أسهمت فى خلق مجتمع تقليدى يقاوم التقدم ومسايرة روح العصر. وفى الحقيقة أنه عند مقارنة العرب باليهود فى فلسطين يتضح أن اليهود يتمتعون بدرجة أكبر من الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأن الوضع بينهما شبيه بالتمييز العنصرى .

وبعكس ما تدعيه الدعاية الصهيونية فإننا نجد أن وضع عرب فلسطين بعد السيطرة الإسرائيلية أسوأ مما كانوا عليه قبلها ، فلا نكاد نلمس تقدما ملحوظا بالنسبة لمؤشرات التنمية المتعارف عليها داخل المجتمع الفلسطينى ، ولا أية محاولة جادة من جانب السلطات الإسرائيلية لنقل تكنولوجيا العصر اليهم .

ولذلك ليس من الغريب أننا لا نجد أية إشارة من جانب الأدباء الإسرائيليين فى النماذج الأدبية المختارة إلى أى مظهر حضارى للشعب الفلسطينى ، واقتصارهم على تناول نمطى البدوى والفلاح اللذين يمثلان من وجهة النظر الإسرائيلية أدنى درجات التخلف فى محاولة لإبراز أن الشخصية الإسرائيلية هى التى تمثل الحياة العصرية بكل ما فيها من حضارة وتقدم ورقى، أما العربى الفلسطينى فإنه يمثل التخلف والافتقار إلى وسائل الحياة العصرية .

ومما يدحض الدعاية الإسرائيلية المفتراه بشأن رعاية الشخصية الفلسطينية هو أننا لانكاد نسمع عن علماء بارزين من العرب الفلسطينيين الذين نشأوا أو تعلموا فى ظل السيطرة الإسرائيلية بينما نجد اخوانهم من اللاجئين يرتقون ويذيع صيتهم ويبلغون من العلم درجات تفوق بمراحل هذا القدر الذى تدعى إسرائيل أنها تتيحه

لاخوانهم الواقعين تحت سيطرتها .
وإذا كانت النماذج الأدبية المختارة توضح الفارق الكبير بين العربى الفلسطينى والإسرائيلى فلا شك أن الواقع أكثر إيلاما وحزنا بسبب ما تمارسه السلطات الإسرائيلية من شتى أنواع الارهاب والممارسات التعسفيه التى تفتقر إلى الانسانية .
إن عرب إسرائيل فى ظل السيطرة الإسرائيلية يتعرضون لشتى أنواع التعذيب وتمارس ضدهم ألوانا مختلفة من الإرهاب، ويتعرضون لعمليات التفتيش فى أى وقت وتسلب ممتلكاتهم ، ويتوقعون الطرد بين لحظة وأخرى ، ويحرمون من أبسط حقوق المواطنة فى شتى المجالات كالتعليم والصحة والثقافة .
وفيما يلى سأحاول إيضاح رؤية الأدباء الإسرائيليين لأوضاع العرب فى ظل السيطرة الإسرائيلية كما وردت فى النماذج المختارة، وذلك من خلال نقطتين رئيسيتين على النحو التالى:
١ـ التخلف والافتقار إلى وسائل الحياة المعاصرة :
يصف "س . يزهار" فى قصة "الأسير" حالة الرعاة وقطعانهم فيقول :
"كان الرعاة وقطعانهم مهملين بين الصخور الحجرية" .
وهنا نجد أن الرعاة الذين لا يملكون شيئاً سوى بعض من الأغنام التى يرتزقون منها لايجدون أى رعاية من قبل السلطات. فلا تنظيم لحياتهم ، ولاإشراف على مناطق إقامتهم ويبدو أن البدو العرب كانوا مهملين من قبل السلطات الإسرائيلية لأننا نجد أن "عاموس عوز" قد أشار إلى ذلك فى أكثر من موقع فى قصة "البدو الرحل والثعبان" حيث يقول :
"إنهم يفرون شمالا من شدة الجوع ، هم وقطعانهم المتربة ، منذ تشرين وحتى نيسان لم يعرف النقب نقطة ماء واحدة لتخفف المحنة ، فقد تفتتت التربة الخصبة إلى تراب وسيطر الجوع على ساكنى المخيمات ، وترك بصمته على البدو" .
ويصف أغنام البدو قائلا :
"إن أغنامنا التى تجد الرعاية ليست مثل أغنامهم المهملة ،

وبراعم حيواناتهم مهملة مكومة ، تحتمى كل واحدة فى الأخرى، وتتجمع فى شكل كتلة ، ترتجف صامته هادئة كرعاتها الخرس".

كما يبين افتقار حيوانات البدو إلى الرعاية البيطرية فيقول :

"جاء المرض من الصحراء بواسطة البهائم التى تفتقر إلى الرعاية البيطرية ، وعلى الرغم من أننا أسرعنا باتخاذ وسائل الوقاية فإن الوباء قد لحق بأغنامنا وأبقارنا وقلل انتاج اللبن وتسبب فى قتل عدة بهائم" .

وهنا إشارة واضحة إلى أن أغنام البدو تفتقر إلى رعاية صحية ولا تحظى بأى رعاية كالتى تحظى بها الحيوانات التى يمتلكها الإسرائيليون .

٢ــ الحياه فى رعب وفزع :

يصف " س . يزهار" فى قصته "خربة خزعة" حالة العرب عند مهاجمة الجنود الإسرائيليين للقرية واطلاق النار عليها فيقول :

"سرعان ما كان يرتسم لى بدقة ووضوح كيف أنه فى نفس البيت، ذلك البيت الأبيض المائل للزرقة ، والنافذة الزرقاء ، يعتدل الأن شخص ما تاركا ما كان يفعله فى خوف مفاجىء ، وثمة من يتوقف فى البيت الطينى عن أكله ، وثمة من يسهش فى مجموعة البيوت إلى اليمين من كان يحدثه فى هذه اللحظة قائلا: إطلاق النار، قشعريرات تدب ، أمعاء تصاب بالغثيان مما حوت، أم ترتعب حتى الموت ، تخرج ، تجمع أطفالها بوخزة قلب يكاد أن يتوقف " .

ويقول فى موقع أخر:

"كان صوت القذيفة بالنسبة للهاربين كتدفق الماء إلى بيت نمل ، حيث كنت تستطيع وبلا انتظار أن تميز ارتباكاً متزايداً ، واندفاعاً مستعجلاً ، وكانت تُسمع أصوات بعيدة وأصوات أخرى من القرية التي كانت حتى الأن سائدة ، أصوات عويل وأصوات فزع وبعض الطلقات" .

ثم يصف حالة العربى الذى خرج فجأة من باب أحد الأسوار الطينية أثناء تفتيش الجنود الإسرائيليين للقرية فيقول :

"كان فزعا مهولا صوب جابى المدفع الرشاش نحوه بدقة وهو

يقول لنا : إنه يوحي بأنه قذر . وضغط على الزناد في الحال ، وأطلق طلقه منفردة كانت قد مرت قيد شعره من فوق رأسه عمدا فالتفت الرجل إلينا ومد يده وتجمد هكذا ، وعنقه يغوص بين كتفيه" .

"كان العربي الذى فى الجيب ينحنى مستسلما ، وهو لايزال يحاول اخفاء آلام معدته بابتسامة اعتذار شاحبة سخيفة ويمسح أنفه بطرف ثيابه ، يبصق ويسعل ويبتسم ويخنق في داخله شهقات محشرجة ومغصا وألما " .

ويصف مدى الرعب الذى ينتاب العرب عندما يرون اليهود فيقول على لسان جابى :

" قرية كبيرة كهذه ، لايوجد فيها حتى ولا ثلاثة أشخاص يكونون، هكذا ، رجالا. إنهم ما أن يروا اليهود حتى يبولوا في سراويلهم" .

ثم يصف حالة العرب الذين تجمعوا بجانب جدار أحد المنازل عند مهاجمة اليهود للقرية فيقول :

"حملقوا فينا بنوع من الجمود واليأس ، وبلمحة بارقة من حسب الاستطلاع الذى يطل من خلال الرعب والذل واليأس والدمار ، ومن خلال مباغتة الكارثة التى حلت لتوها " .

ويصف حالة النساء والأطفال الذين جمعوهم تحت الشجرة تمهيدا لنقلهم خارج قريتهم فيقول :

"بعضهن كن يثرثرن أحيانا ويصرخن بالصبية الذين نفذ صبرهم فراحوا يقفزون ويقتربون منا ويتكئون بأكف أرجلهم الحافية على ركب أرجلهم الأخرى ويلتهموننا بأعينهم مستغربين لكل مانفعله كما لو كان عرضا مسرحيا إلا أن ثمة بكاء ما كان ينفجر بين حين وأخو فاتحا معه كل مغاليق القلوب والدموع " .

كما يصف حالة العرب رجالا، ونساء ، وأطفالا ، والجنود الإسرائيليين يقتادونهم خارج القرية إلى مصيرهم المجهول فيقول:

"لا أرى ما إذا كانوا قد قالوا لهم قبل أن يخرجوا ما الذى ينتظرهم ، والى أين يسوقونهم ومهما يكن فقد كان منظرهم ومشيتهم لا يشهدان إلا على قطيع مذعور مذعن هامس متأوه ولا يعرف كيف يسأل . ومع ذلك ، فقد كان من بينهم البعض الذى كان يتوقع كل شىو

بل وربما كان من بينهم من يساوره دون أن يتحدث ، الشك فى القلب والغثيان فى الأعماق بأن هذا ليس إلا اقتيادا إلى الاعدام" .

وفى قصة "الأسير" يصف " س . يزهار" حالة العربى الذى كان يجلس في ظل الشجرة عندما توجه إليه الجنود الإسرائيليون فيقول :

" توجهنا بسرعة الحصان إلى الشاب الذى كان يجلس على حجر في ظل شجرة البلوط قفز الشاب واقفا على قدميه . على الفور أخذه الذهول ، وألقى عصاه وجرى" .

ثم يصف حالته بعد أن ألقوا القبض عليه وأصبح أسيرا لديهم فيقول :

"وكيف أن أسيرنا قد انتابه صمت تام ، وشىء يصل إلى حد السخرية ، يخاف ويرتعش ويعود ويسقط على رأسه مع "الفوطة" الموضوعة عليه حتى مؤخرته"

ويتضح من هذه الاستشهادات ــ كما أشرنا من قبل ــ نقمة "س.يزهار" على ما يحدث تجاه عرب فلسطين ، وهو لايستطيع أن يفعل شيئا رغم أن هناك صراعا داخليا فى نفسه بين ضرورة تنفيذ الأوامر، وعدم قدرته على إبداء رأيه إزاء مايحدث ولذلك فإنه انكب على تصوير حالة العرب ومايتتابهم من خوف وفزع ورعب من جراء الأعمال الإرهابية التى تمارس ضدهم ، وتكررت الصور الخاصة بذلك تعبيرا عن الصراع الداخلى الذى يسيطر عليه من ناحية وتصويرا لما يحدث فى الواقع من ناحية أخرى .

ولم يكن "س . يزهار" فقط هو الذى تناول وصف حالة عرب فلسطين فى ظل السيطرة الإسرائيلية ولكن هناك أكثر من أديب لفت نظرهم حالة الرعب التى يعيش فيها عرب فلسطين فصوروها من خلال كتاباتهم .

ففى قصة "الكنز" يصف "أهارون ميجد" حالة سليمان عندما سمع أصوات بعض اليهود ، وهو يتسلل بين الأشجار ليذهب إلى مكان الكنز فيقول :

"أصوات خطوات تمشى على الأرض الحجرية ، انكمش سليمان كالقنفد ، والتصق بالساق وزحف عائدا إلى كوخ المعلف، وركع على

كومة من الروث اليابس" .

وفى قصة "على سن الطلقة " ــ يصور "اسحق أورباز" مدى الرعب والخوف الذى كان يسيطر على العربى المقبوض عليه فيقول:

"ولكن لم تكن هناك ضرورة لاطلاق النار ، إنه رمى البندقيه، وسقط على وجهه تحت قدمى ، وألقى برأسه على الأرض ، وأقسم بالله العظيم أنه يحب اليهود"

ويقول فى موقع أخر :

"اننى لم أفهم كل كلمة قالها بلغته . عرفت فقط قليلا من العربية ولكننى عرفت تماما أنه يتوسل إلى لأبقى على حياته ، كما أنه كان واضحا لى تماما مدى الخوف الذى يسيطر عليه " .

كما يقول :

"كنت أنظر إلى الشمس المنحسرة الهادئة على جانبى البحر وتشابكت فى قلبى مشاعر التأمل حتى أيقظنى صوت انفجار بعيد. نظرت ورأيت يد العربى التى كانت قد نزلت من فوق رأسه ثم عادت بسرعة إلى مكانها " .

أما فى قصة "مزمار أحمد" فيصور "يوسف حنانى" خوف أحمد ونظراته المليئة بالرعب عندما رآه ونادى عليه فيقول :

وفجأة شعرت أن شخصا ما يقف بالقرب منى . فتحت عينى على بعد خطوات منى ووراء جذع الشجرة ، وقف شاب عربى، وزمر على الناى،وحاول أن يغادر المكان ولكنى ناديته.... ويبدو أن وضوح وجهى قد أزال خوفه ، وبدأ يقترب منى ويلقى حوله بنظرات مليئة بالرعب " .

المبحث الثالث
نبوءة المقاومة الفلسطينية

على الرغم من أن النماذج الأدبية المختارة قد كتبت بعد ١٩٤٨ ، أى بعد أن استطاعت إسرائيل أن تفرض وجودها في فلسطين وأصبحت هناك قضية أساسية وهي قضية الشعب الفلسطيني الذى طرد قهرا وقسرا من أرضه ، إلا أننا نجد أن هذه النماذج لايوجد فيها أى تصور للعلاقات بين اليهود والعرب في فلسطين . وهذه الظاهرة إن كانت تعكس شيئا فى الواقع فإنها تعكس الرغبة في تجاهل الشعب الفلسطيني من ناحية ، وتجاهل أن لهذا الشعب حقوقا مشروعة مغتصبة من ناحية أخرى لأن التطرق لمعالجة الشخصية العربية يتم دائما على أساس أنها شخصية هامشية فى الحياة اليهودية على أرض فلسطين ، وأنها أدنى بكثير من الشخصية الاسرائيلية ، وأنها مجرد مخلوق يجب التخلص منه بشكل أو بآخر مثل آفات الأرض .

وإذا كان الأدباء الإسرائيليون قد تعمدوا تجاهل طرح أى تصور للعلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين ، وكذلك طرح أى تصور لحل المشكلة العربية الفلسطينية فى نفس الوقت الذى أسهبوا فيه في وصف قدرة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على فرض إرادته على الأرض الفلسطينية ، فاننا نستطيع أن نجد بين ثنايا بعض أعمال هؤلاء الأدباء اشارات واضحة إلى الحق الفلسطيني في الأرض وإلى تمسك العربي الفلسطيني بهذا الحق والاستماته من أجله . وسواء بوعى أو بلا وعى فإن بعض الأعمال الأدبية أشارت إلى أن هذا سيؤدى إلى خلق نموذج عربي فلسطيني جديد سيمثل طرحا جديدا للشخصية الفلسطينية ، وهذه الشخصية النبوءة لن تكون مستسلمه للإرهاب ولن تنحنى أمام سطوة القهر الإسرائيليه بل ستكون مشحونة بعبء الأجيال السابقة وتحمل بين جنباتها صرخة الثأر لاستعادة الوطن السليب، تلك الصرخة التي لن تكون صرخة حيوان مطارد خائف بل زئير نمرة لن يزيده الألم إلا عناداً واصراراً .

ففى قصة " خربة خزعة " يصف " س . يزهار" إحساسه بما

سيكون عليه رد فعل عرب القرية العربية فى المستقبل ازاء استمرار العدوانية الإسرائيليه فيقول :

" إن تلك الصرخة لم تعد زعيق دجاج مطارد خائف بل زئير نمرة لن يزيدها الألم غضبا وشرا .·صرخة محكوم عليه بالاعدام يقاد إلى المشنقة كارها لجلاده ، وتمردا عليه ، صرخة ذات زئير ، صرخة لن أتحرك ، لن أستسلم ، أموت ولكن لن أتحرك " .

ويصف المرأة التى أصرت على أن تذهب لترى منزلها الذى دمره الجنود الاسرائيليون ، وتخطت كل الإنذارات التى وجهها اليها الجندى الإسرائيلى فيقول :

" فعاد الجندى وصرخ بها يأمرها أن تعود إلى مكانها إلا أن المرأة تخطت كل الانذارات فنحته من طريقها ، وراحت إلى مكان الانفجار" .

ثم المرأة التى كانت تسير ضمن مجموعة من ثلاث أو أربع سيدات ، وكيف أنها أبت الانكسار أمامهم ، وتعالت بآلامها وأحزانها على وجودهم فيقول :

"رأينا كيف أن تجهم التمالك للنفس وارادة التحمل يزيد من قسمات وجهها صلابة وكيف بها الآن وعالمها قد باد ، لقد أبت الانكسار أمامنا ، ومتعالية بآلامها وأحزانها على وجودنا " .

أى أنه كلما يزداد التنكيل بعرب فلسطين فأنهم يزدادون عنادا واصرارا ، وتمسكا بأرضهم فهم يعرفون أن مصيرهم الطرد أو القتل ولذلك فأنهم يتحولون إلى حيوانات كاسرة تهيج عندما تصاب بألم أو أذى . ويبدو أن نزعة التمسك بالأرض كانت شائعة لدى عرب فلسطين لدرجة أنها سيطرت على خيال أكثر من كاتب ففى قصة "الكنز" يوضح "أهارون ميجد" مدى تمسك "سليمان بن رشيد" بأرضه وذلك عندما ذهب ليشكى لأحد المسؤلين ليعيد له أرضه المغتصبه فيقول :

"هكذا جئت لأضع التماسا أمامك ، إننى أصرعلى أن أعود إلى قريتى التى ولدت فيها أنا وأبى وجدى ، والتى لا أريد أن أموت إلا فيها " .

وفى قصة "على سن الطلقة" يبين "إسحق أورباز" إصـــرار "عبـد المحسن جامونى" على البقاء فى أرضه وذلك على لسان إبنه إبراهيـم فيقول :

"سألته بالنسبه للعجوز فقال إبراهيم : لقد مات هو أيضا وحكى لى أن أباه لم يرغب فى أن يترك مكانه وقال فى هذا الصـــدد : إن أبـــى وجدى ولدا هنا ، وماتا هنا :

أننى سأبقى والله يفعل ما يريد، هكذا قال أبوه" .

وهكذا نرى أنه على الرغم مما كان يتعرض له عـــرب فلســـطين فى ظل السيطرة الإسرائيلية إلا أن تمسكهم بالأرض وإصرارهم على البقاء فيها كانـــا ســـمتين بـــارزتين . ويبـــدو أن إشـــارات الأدبـــاء الإسرائيلين إلى تمسك العربى الفلسطينى بأرضه والاستماته من أجــل الاحتفاظ بها كانت بمثابة نبوءة من جانب هؤلاء الأدباء لما يمكـــن أن يحدث فى المستقبل . وقد تحققت هذه النبوءة فى عام ١٩٦٥ بظـــهور منظمة فتح التى قادت المقاومة الفلسطينية من أجل استرجاع الحقـــوق الفلسطينية المشروعة. وتنبيه الإسرائيليين إلى نزعتهم العدوانية التـــى أدت بهم إلى أن لهم حقوقاً مشروعة من خلال نفس حقوق الغير .

مراجع وهوامش
الباب الثانى

١ـ كامل. لويس: قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية (الشخصية البدوية). القاهرة الهيئه العامة للتأليف والنشر، مجلد ٢ ، ١٩٧٠، ص٥٥٢ .

٢ـ لازاروس . (ريتشارد: الشخصية ، ترجمة د. سيد محمد غنيم، مراجعة د. محمد عثمان نجاتى). دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١، ص ١٣.

٣ـ الشرقاوى. أنور محمد : مقال بعنوان التعليم والشخصية مجلة عالم الفكر، الكويت ، المجلد الثالث عشر ، العدد الثانى، ١٩٨٢ ، ص ١٩ .

٤ـ يطلق هذا التعبير أيضا على الدراسات الانثروبولوجية التى تهدف الى تحليل وتفسير المقومات الرئيسية التى تميز شعبا من الشعوب فى ذاته.

٥ـ يس. السيد: الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والمفهوم العربى، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٣ .

٦ـ الراهب . هانى: مقال بعنوان "الشخصية الفلسطينيه فى الفكر الصهيونى العربى، فبراير ١٩٨٣ العدد ٢٩١، ص ٣٦ ــ ٣٩ .

٧ـ هذا الشعار يردده الروائى الصهيونى اسرائيل زينجويل (١٨٦٤ـ١٩٢٩)

٨ـ اسم الشهرة لاشير جنيزبرج وهو أحد الكتاب والمفكرين فى الأدب العبرى الحديث وفيلسوف الصهيونية الثقافية.

٩ـ الراهب: المرجع السابق، ص ٣٦

١٠ـ المسيرى . عبد الوهاب (دكتور) : أرض الميعاد ، دراسة نقديه للصهيونية السياسية، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ، كتب مترجمة، رقم ٧٤٢، ص ١٩٣

١١ـ رزق. إليا: الفلسطينيون فى إسرائيل، الهيئه العامة للأستعلامات، القاهرة ، كتب مترجمة، رقم ٧٤٦، ص ١٧٨

١٢ـ دومب. ريزا : العرب فى النثر العبرى ١٩١١ ــ ١٩٤٨، لندن ، ١٩٨٢

١٣ـ دومب: نفس المرجع، ص ٢٣ ــ ٢٥

١٤ـ دومب: نفس المرجع، ص٦٩

١٥ـ دومب: نفس المرجع ص ٩٩

١٦ــ المسيرى. عبد الوهاب (دكتور) : اليهودية الصهيونية واسرائيل، المؤسسة العبرية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٧٥، ص ٢٠٠ ــ ٢٠٤
١٧ــ قهوجي: المرجع السابق، ص ١٥٤ ــ ١٥٦
١٨ــ هنداوى: المرجع السابق، ص ٧٥
١٩ــ سريه: المرجع السابق، ص ١٢ ــ ١٤
٢٠ــ كنعانه. شريف (دكتور): التغير والاستمرارية.
القدس. جمعية الدراسات العربية ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥

محتويات الكتاب

رقم الإيداع ١٧٧٦٥ / ٢٠٠٠

من إصدارات المركز :

* ظاهرة النبوة الإسرائيلية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
* جامع التعريب	تحقيق وشرح نصوص أونال قره أرسلان
* دليل وثائق الجنيزا	لجنة الجنيزا بالمركز
* الحساب القومى	ترجمة أ.د / محمد محمود أبو غدير
* الشخصية الإسرائيلية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
* الصهيونية الدينية	ترجمة أ.د / محمد محمود أبو غدير
* الحركة الصهيونية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
* المجتمع الإسرائيلى	ترجمة د. / محمد أحمد صالح
* اسلام حقائق اور الزامات	ترجمة د. / يوسف عامر
* أدب المهجر الشرقى	تأليف د. / محمد عبد الرحمن الربيّع
* الكلام والفكر والشىء	ترجمة د. / محمد صالح الضالع
* قاموس المختصرات العبرية	إعداد د. / شعبان محمد سلام
* الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية	نقله إلى العربية د./ أحمد محمود هويدى
* حكايات أيسوبوس	ترجمة ودراسة د./ صلاح محجوب
* البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
* اتجاهات التراجم والتفاسير القرآنية فى اللغة الأردية	تأليف أ.د / سمير عبد الحميد إبراهيم
* الجنيزا والمعابد اليهودية فى مصر	تأليف أ.د/محمد خليفة حسن والأستاذ النبوى سراج
* سياسة إسرائيل فى طرد السكان العرب	ترجمة وتعليق د. محمد أحمد صالح
* الرموز الدينية فى اليهودية	تأليف أ.د/ رشاد عبد الله الشامى
* الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى الحاضر والمستقبل	تأليف أ.د/ أحمد فؤاد متولى،ود. هويدا محمد ف
* المشكلة الكردية	ترجمة وتعليق / أ.د محمد علاء الدين منصور
* المسرح الإيرانى	تأليف / د. عبد الوهاب علوب .
* الأدب الفارسى عند يهود إيران	ترجمة / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
* الصراع الدينى العلمانى داخل الجيش الإسرائيلى	تأليف أ.د/ محمد محمود أبو غدير
* الأقليات المسلمة والصراعات فى الكومنولث	تأليف د. / هويدا محمد فهمى

* رسالة المشرق « مجلة دورية محكمة »